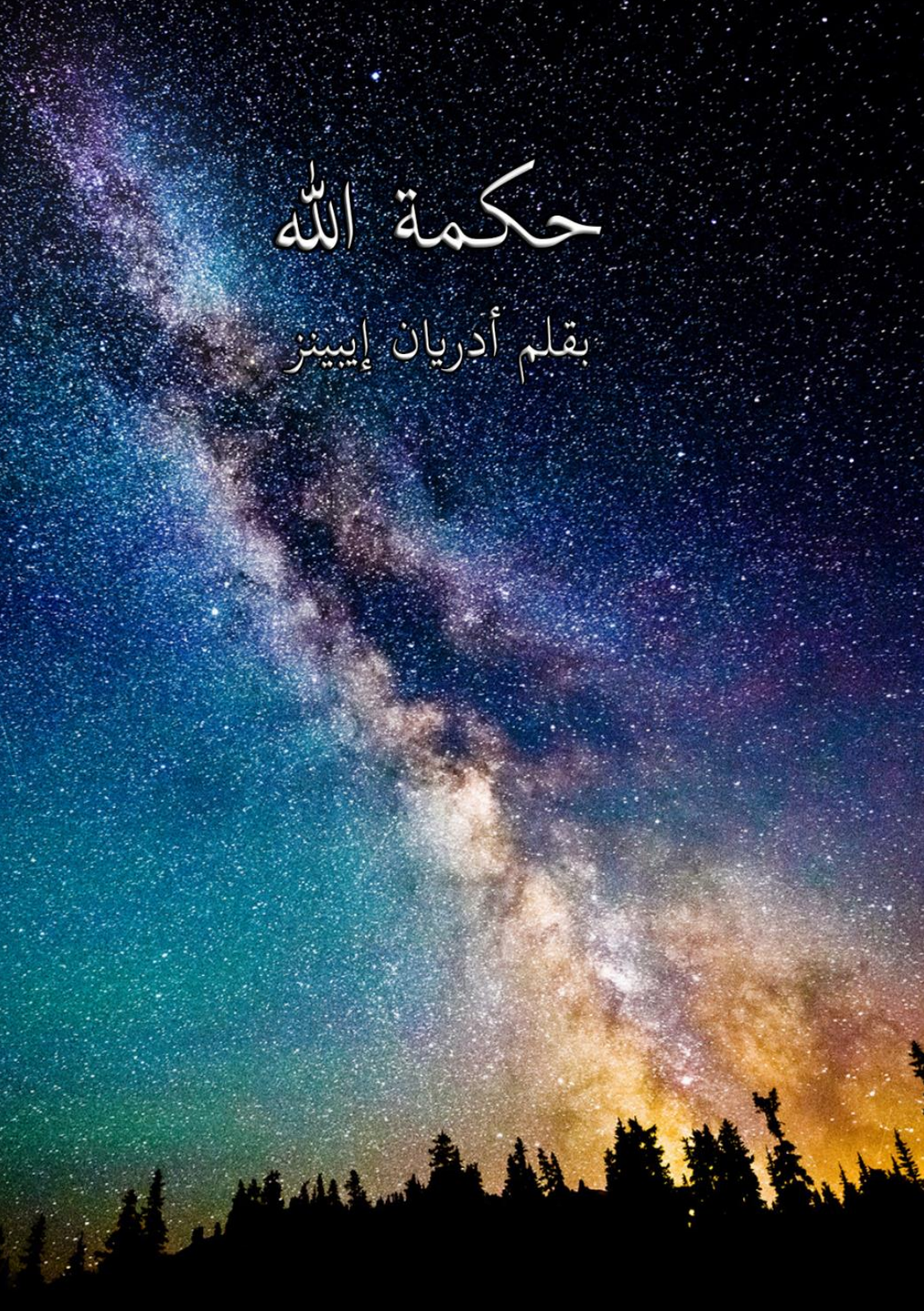
حكمة الله
بقلم أدريان إيبينز

# حكمة الله

مدخل إلى الصراع العظيم

أدريان إيبينز

تمَّت الطباعة في

MARANATHA MEDIA

fatheroflove.info

تمَّ التأليف على شكل مقالة في آذار/مارس 2010
تمَّت الطباعة في شباط/فبراير 2016

نسخة منقَّحة في نيسان/إبريل 2018

**المحتويات**


1. أبونا ..... 4
2. المَلِك على الكلّ ..... 6
3. حكمة الله ..... 8
4. المساواة ..... 11
5. الإرادة ..... 13
6. الأزمة تتفاقم ..... 14
7. مخلوقون على صورته ..... 17
8. أبو الكذّاب ..... 20
9. البشريَّة تتعرَّض للإغواء ..... 21
10. تلخيص ..... 25
11. طريقان ..... 26
12. أساسات بابل ..... 28
13. جوهر مدينة بابل ..... 31
14. سلسلة النّسب ..... 35
15. مدعوُّون لنخرج مِن بابل ..... 38

## 1. أبونا

عندما اقترب أتباع يسوع منه، طلبوا منه طلباً في غاية الأهمِّيَّة:

**لوقا 11: 1** وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ، لَمَّا فَرَغَ، قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَارَبُّ، عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضًا تَلاَمِيذَهُ».

والجواب الذي قدَّمه يسوع يوضِّح لنا أهمَّ أمر نحتاج إلى أنْ نعرفه عن الله. إنَّ فعل الصلاة هو سعيٌ إلى التحدُّث مع الله والتواصل معه. إنَّ الاسم الذي استخدمه يسوع كنقطة مرجعيَّة أولى يعبِّر عن جوهر طبيعة الله ومَن يكون. هكذا أخبرنا يسوع أن نتحدَّث إلى الله عندما نصلّي:

**لوقا 11: 2** فَقَالَ لَهُمْ: «مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... ».

«أبانا». بصرف النظر عن أيِّ أمر آخر قد نفكِّر فيه بخصوص الله، فإنَّ الله أوَّلاً وقبل كلِّ شيء هو أب. هذا الوصف البسيط يخبرنا الكثير عن الله. يخبرنا أنَّ الله يهتمّ بالعلاقات قبل كلِّ شيء. وهو يريدنا أنْ نتحدَّث معه مِن هذا المنطلق. إنَّ مصطلح الآب لا يعبِّر فقط عن القدرة والقوَّة، ولكنَّه يعبِّر أيضاً عن علاقته بالكون واتِّصاله به. إنَّه الآب أو مصدر جميع الأشياء. إذاً أيُّ أبٍ يكون الله؟

ذات مرَّة طلبَ موسى مِن الله أنْ يُظهِر له مجده أو صفته الأكثر خصوصيَّة. فاستجاب الله هكذا:

**الخروج 34: 5، 6** فَنَزَلَ الرَّبُّ فِي السَّحَابِ، فَوَقَفَ عِنْدَهُ هُنَاكَ وَنَادَى بِاسْمِ الرَّبِّ. فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ».

لاحِظوا ما أظهره الله لموسى. لقد تحدَّث عن صفاته. وهذا أعظم ما في الله ــ صفاته. إنَّه رحيم، كريم، صبور، يفيض بالخير والصدق. تُعَدُّ هذه الخِصال نادرة جدّاً في العالَم الذي نعيش فيه، ولكنْ عندما نجدها في الآخرين، فإنَّ معظمنا يشعر بالتقدير العميق. لخَّصَ الرسول يوحنَّا صفات الله بالقول:

**1 يوحنَّا 4: 8** وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ.

إنَّ الله أبٌ مُحِبٌّ يهتمُّ اهتماماً عميقاً بكلِّ خلائقه. فما مدى اتِّساع خليقته؟ يخبرنا الكتاب المقدَّس أنَّه الآب لكلِّ ما في السماء والأرض.

**أفسس 3: 14، 15** بِسَبَبِ هذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الأَرْضِ.

إنَّ الكون بأسره هو مُلْكٌ لأبينا السماويّ، وجميع مَن في هذا الكون هو جزء مِن عائلته. وبما أنَّ هناك الكثير مِن الناس، فقد نسقط في تجربة الاعتقاد بأنَّ الله لا يقدر أنْ يعتني بالجميع، ولهذا فإنَّ الله سينسى البعض ويغفل عنهم، لكن اسمعوا جيّداً ما قاله يسوع عن هذا.

**لوقا 12: 6، 7** أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟ بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!

إنَّ الله لا ينسى أحداً. وهو عالِمٌ بكلِّ أحوالنا، ويعتني بحياتنا وبما نفعله ونفكِّر فيه. في الحقيقة إنَّه لا يتوقَّف أبداً عن التفكير فينا.

**مزمور 40: 5** كَثِيرًا مَا جَعَلْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي عَجَائِبَكَ وَأَفْكَارَكَ مِنْ جِهَتِنَا. لاَ تُقَوَّمُ لَدَيْكَ. لأُخْبِرَنَّ وَأَتَكَلَّمَنَّ بِهَا. زَادَتْ عَنْ أَنْ تُعَدَّ.

ولديه خطط وتطلُّعات خاصَّة بمستقبلنا وما يمكن أنْ نكون عليه في الغد.

**إرميا 29: 11** لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرّ، لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً.

إنَّ كلَّ ما لدينا مِن خير يأتي مِن عنده.

**يعقوب 1: 17** كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ.

إنَّ أجمل مشهد يُظهر محبَّة الله لنا نجده في معموديَّة ابنه الوحيد يسوع، وهذا ما قاله:

**متَّى 3: 17** وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً:« هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ».

لقد أحبَّ الله ابنَه باعتباره إنساناً، وسُرَّ به سروراً عظيماً. وأعظم ما في هذا الأمر هو أنَّنا نحن أيضاً يمكننا أنْ نكون مقبولين أيضاً بنفس الطريقة عندما نُدرِك أنَّ يسوع هو ابن الله.

**أفسس 1: 6** لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ.

سوف نكتشف الكثير عن دور يسوع ولماذا جاء إلى الأرض ولماذا نحتاج إلى أنْ نكون مقبولين مِن خلاله. ولكنَّ النقطة الأساسيَّة التي نحتاج إلى التأكيد عليها هنا هي أنَّ الله أبٌ مُحِبٌّ رحيمٌ يهتمُّ بنا اهتماماً عميقاً ويعتني بكلِّ جانب مِن جوانب حياتنا.

## 2. المَلِك على الكلّ

لاحَظْنا في الفصل السابق أنَّ الله أبٌ مُحِبٌّ يفكِّر بنا باستمرار، ولديه خطط وتطلُّعات لمستقبلنا. لاحَظْنا أيضاً أنَّه أب الكون بأسره. في هذا القسم، نريد أنْ ننظر إلى السمات التي تتيح لله أنْ يكون في هذا الموقف وأنْ يقوم بما يقوم به.

أوَّل ما يُخبرنا به الكتاب المُقدَّس هو أنَّ الله هو سيّد كلّ شيء.

**1 كورنثوس 8: 6** لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ...

**1 تيموثاوس 1: 17** وَمَلِكُ الدُّهُورِ الَّذِي لاَ يَفْنَى وَلاَ يُرَى، الإِلهُ الْحَكِيمُ وَحْدَهُ، لَهُ الْكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

**تثنية 6: 4** اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ.

الآب هو الإله الوحيد الذي منه يأتي كلُّ شيء. إنَّ الله لم يأخذ قدرته أو حكمته أو معرفته مِن أيِّ أحد. كلُّ ما نراه يأتي مِن عنده.

**إشعياء 40: 10 – 15** «...هُوَذَا السَّيِّدُ الرَّبُّ بِقُوَّةٍ يَأْتِي وَذِرَاعُهُ تَحْكُمُ لَهُ. هُوَذَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَعُمْلَتُهُ قُدَّامَهُ. كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ». مَنْ كَالَ بِكَفِّهِ الْمِيَاهَ، وَقَاسَ السَّمَاوَاتِ بِالشِّبْرِ، وَكَالَ بِالْكَيْلِ تُرَابَ الأَرْضِ، وَوَزَنَ الْجِبَالَ بِالْقَبَّانِ، وَالآكَامَ بِالْمِيزَانِ؟ مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ، وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟ مَنِ اسْتَشَارَهُ فَأَفْهَمَهُ وَعَلَّمَهُ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ، وَعَلَّمَهُ مَعْرِفَةً وَعَرَّفَهُ سَبِيلَ الْفَهْمِ؟ هُوَذَا الأُمَمُ كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ، وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ. هُوَذَا الْجَزَائِرُ يَرْفَعُهَا كَدُقَّةٍ!

**مزمور 36: 7 – 9** مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ. فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ. يَرْوَوْنَ مِنْ دَسَمِ بَيْتِكَ، وَمِنْ نَهْرِ نِعَمِكَ تَسْقِيهِمْ. لأَنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِنُورِكَ نَرَى نُورًا.

إنَّ الله كلّيُّ القدرة، وهذا يعني أنَّ قدرته لا حدود لها؛ لا نهاية لها. فمنه تنبع القوَّة الكامنة في تريليونات وتريليونات الذرَّات، وهذه القدرة تفوق إدراك الإنسان. ومِن المستحيل أنْ نُعلِّمه وهو العليم بكلِّ شيء، ولهذا نقول أنَّ الله كلّيَّ العِلم. فكلُّ الحكمة والمعرفة تصدر مِنه.

ومنه تتدفَّق هذه الحكمة والمعرفة كالنهر لتصل إلينا بواسطة روحه القدُّوس.

**رؤيا يوحنَّا 22: 1** وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ.

**مزمور 46: 4، 5** نَهْرٌ سَوَاقِيهِ تُفَرِّحُ مَدِينَةَ اللهِ، مَقْدَسَ مَسَاكِنِ الْعَلِيِّ. اللهُ فِي وَسَطِهَا فَلَنْ تَتَزَعْزَعَ. يُعِينُهَا اللهُ عِنْدَ إِقْبَالِ الصُّبْحِ.

إنَّ الله يقدر أنْ يَحضر في كلِّ مكان في الوقت ذاته، وذلك بواسطة روحه، ولهذا نقول أنَّه كلِّيُّ الوجود. نُعيد فنقول أنَّ الأمر يفوق قدرتنا على الفهم، لكن لاحِظوا ما يقوله الكتاب المقدَّس:

**مزمور 139: 7 – 10** أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ؟ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.

هذا النهر هو نهر الحياة، وجميع مكوِّنات الحياة تأتي مِن الروح، وروحه الواهب للحياة الذي يسكن فينا هو الذي يُبقينا أحياء، ويبقي قلوبنا تنبض بالحياة.

**أعمال الرسل 17: 24 – 28** الإِلهُ الَّذِي خَلَقَ الْعَالَمَ وَكُلَّ مَا فِيهِ، هذَا، إِذْ هُوَ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلَ مَصْنُوعَةٍ بِالأَيَادِي، وَلاَ يُخْدَمُ بِأَيَادِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ، إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ. وَصَنَعَ مِنْ دَمٍ وَاحِدٍ كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ يَسْكُنُونَ عَلَى كُلِّ وَجْهِ الأَرْضِ، وَحَتَمَ بِالأَوْقَاتِ الْمُعَيَّنَةِ وَبِحُدُودِ مَسْكَنِهِمْ، لِكَيْ يَطْلُبُوا اللهَ لَعَلَّهُمْ يَتَلَمَّسُونَهُ فَيَجِدُوهُ، مَعَ أَنَّهُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا. أَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيْضًا: لأَنَّنَا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ.

وباختصار، فإنَّنا نرى أنَّ هناك إلهاً واحداً قديراً، لا حدود لعِلمه، وهو حاضر في كلِّ مكان بروحه. وله كلُّ القدرة والسلطان، وهو يعطيها لمن يشاء.

## 3. حكمة الله

سيكون مِن المفاجئ تماماً أنْ نظنَّ أنَّ كائناً كلِّيَّ القدرة والحكمة يمكن أنْ يكون في وضع يمنعه مِن القيام بأمرٍ ما. هذا الأمر في غاية الأهمِّيَّة، ومِن دونه لن يكون مِن الممكن أنْ يؤسِّس الله الآب مملكته.

عندما ننظر في الآثار الأعمق المترتِّبة على حقيقة أنَّ كلَّ الحياة والقدرة والحكمة تأتي مِن عند الله، ندرك أنَّه مِن غير الممكن أنْ يقوم الله بخلق الملايين مِن السكَّان في الكون ويمنحهم قائمة مِن الأوامر، ثمَّ يخبرهم بأنْ يتصرَّفوا بموجبها. إنَّ القدرة على الخضوع لله والثقة به واحترام طريقته في القيام بالأمور، كلُّها كان لا بدَّ أنْ تصير جزءاً مِن النهر الذي يتدفَّق مِن عرش الله.

المشكلة هي أنَّ الله لا يخضع لأحد، ولا يحتاج إلى أنْ يقدِّم فروض الطاعة لأحد أو أنْ يتبع طريقة أحدهم في القيام بالأمور، لذلك لم يكن بمقدوره أنْ يضمن تحقُّق هذه الأمور. ولهذا، فالله، في حكمته العظيمة، سمح بأنْ يُولد له ابن يخرج منه ويكون في صورته بالتمام، وأعطى كلَّ ما لديه لابنه، ثمَّ خلق بواسطته كلَّ شيء. انظروا في الآيات التالية:

**الرسالة إلى العبرانيِّين 1: 1 – 5** اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ، الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، صَائِرًا أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْمًا أَفْضَلَ مِنْهُمْ. لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ:«أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضًا:«أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا»؟

**يوحنَّا 5: 26** أَنَّهُ كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ.

**يوحنَّا 5: 19** فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ».

**يوحنَّا 8: 29** «...وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ».

**يوحنَّا 8: 42** فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي».

**كولوسي 2: 8 – 10** اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ. فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا. وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.

وكلُّ ما هو لازم للكون الذي خلقه الله قد حَلَّ عندئذ في ابنه: القوَّة والحكمة والحياة، بل حتَّى الثقة والطاعة والاعتراف بسلطان الآب والشعور بمحبَّته ورضاه. إنَّ الابن هو كمال الله والأساس المطلق لملكوته.

**فيلبي 2: 9 – 11** لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ. لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ.

ولهذا رفَّعَ الآبُ ابنَه، وجعله القدرة الإلهيَّة والمثال للكون بأسره. والله سيحمل روحَ ابنه إلى كلِّ الخلائق ليمنحها الحياة والنعمة ومعرفة الخضوع والطاعة الواثقة. بدون روح المسيح، مِن المستحيل أنْ نعرف كيف نخضع لله ونطيعه ونثق فيه. لاحِظوا ما يقوله الكتاب المقدَّس.

**رؤيا يوحنَّا 22: 1** وَأَرَانِي نَهْرًا صَافِيًا مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعًا كَبَلُّورٍ، خَارِجًا مِنْ عَرْشِ اللهِ وَالْخَرُوفِ.

**يوحنَّا 15: 26** وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ، رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي.

**رومية 8: 9، 10** وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي الْجَسَدِ بَلْ فِي الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ، فَالْجَسَدُ مَيِّتٌ بِسَبَبِ الْخَطِيَّةِ، وَأَمَّا الرُّوحُ فَحَيَاةٌ بِسَبَبِ الْبِرِّ.

ولهذا السبب يُدعى يسوع قوَّة الله وحكمة الله. وتنتقل شخصيَّة المسيح عبر الكون إلى كلِّ مخلوق بواسطة روح الله. إنَّ حكمة المسيح التي تدخل في قلوبنا هي التي تعلِّمنا كيف نحبُّ الآب ونطيعه؛ وحياة المسيح هي التي تُحيي كلَّ عصب وعِرق في كياننا وتبقينا أحياء.

**1 كورنثوس 1: 24** وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.

**1 كورنثوس 1: 30** وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً.

وبالتالي، فإنَّ روح المسيح عندما تحلُّ في شخصٍ ما، تمنحه الحكمة ليقوم بالأمور وليكون صالحاً ومُحِبّاً للخير. وسليمان تحدَّث عن هذا، وذكر كيف تعمل الحكمة في الكون.

**الأمثال 8: 12 – 21** أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ، وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ. مَخَافَةُ الرَّبِّ بُغْضُ الشَّرِّ. الْكِبْرِيَاءَ وَالتَّعَظُّمَ وَطَرِيقَ الشَّرِّ وَفَمَ الأَكَاذِيبِ أَبْغَضْتُ. لِي الْمَشُورَةُ وَالرَّأْيُ. أَنَا الْفَهْمُ. لِي الْقُدْرَةُ. بِي تَمْلِكُ الْمُلُوكُ، وَتَقْضِي الْعُظَمَاءُ عَدْلاً. بِي تَتَرَأَّسُ الرُّؤَسَاءُ وَالشُّرَفَاءُ، كُلُّ قُضَاةِ الأَرْضِ. أَنَا أُحِبُّ الَّذِينَ يُحِبُّونَنِي، وَالَّذِينَ يُبَكِّرُونَ إِلَيَّ يَجِدُونَنِي. عِنْدِي الْغِنَى وَالْكَرَامَةُ. قِنْيَةٌ فَاخِرَةٌ وَحَظٌّ. ثَمَرِي خَيْرٌ مِنَ الذَّهَبِ وَمِنَ الإِبْرِيزِ، وَغَلَّتِي خَيْرٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْمُخْتَارَةِ. فِي طَرِيقِ الْعَدْلِ أَتَمَشَّى، فِي وَسَطِ سُبُلِ الْحَقِّ، فَأُوَرِّثَ مُحِبِّيَّ رِزْقًا وَأَمْلأَ خَزَائِنَهُمْ.

ثمَّ يمضي ليصف كيف وَلدَ الله ابنَه وأقامه وثبَّته.

**الأمثال 8: 22 – 31** اَلرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ، مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ الأَرْضَ بَعْدُ وَلاَ الْبَرَارِيَّ وَلاَ أَوَّلَ أَعْفَارِ الْمَسْكُونَةِ. لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ. لَمَّا أَثْبَتَ السُّحُبَ مِنْ فَوْقُ. لَمَّا

تَشَدَّدَتْ يَنَابِيعُ الْغَمْرِ. لَمَّا وَضَعَ لِلْبَحْرِ حَدَّهُ فَلاَ تَتَعَدَّى الْمِيَاهُ تُخْمَهُ، لَمَّا رَسَمَ أُسُسَ الأَرْضِ، كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعًا، وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ، فَرِحَةً دَائِمًا قُدَّامَهُ. فَرِحَةً فِي مَسْكُونَةِ أَرْضِهِ، وَلَذَّاتِي مَعَ بَنِي آدَمَ.

اشكُروا الآب لأجل الابن، فبدونه لا يمكن أنْ يستمرَّ الكون، ولن يسير شيء فيه بالشكل السليم. وهكذا نرى الآن أنَّ اللاهوت قد اكتمل. وحده الآب هو الإله الحقيقي الذي هو مصدر كلَّ الأشياء. وقد وَلَدَ ابناً أعطاه كلَّ شيء. ومِن الابن تتدفَّق كلُّ المكّونات اللازمة لإدارة الكون. في الابن اقترنت القدرة والحكمة بالطاعة الواثقة الخاضِعة. إنَّ شخصيَّة الابن تفيض عبرَ الكون مِن خلال روح الله الحاضر في كلِّ مكان. إنَّه نظام رائع، والله خلقه بكلِّ حكمة.

وقد لخِّص بولس هذه الحقيقة بشكل جميل عندما قال:

**1 كورنثوس 8: 6** لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ.

## 4. المساواة

في الفصل السابق درسنا حكمة الله المدهشة في إرساء أسس الكون. إنَّ ولادة الابن الذي وُهِب كلُّ صفات الإله جعلت مِن الممكن أنْ ينتقل الكمال الإلهيَّ إلى قلوب الخلائق جميعها بواسطة روح الله. الأمر التالي الذي قام به الله هو أنَّه قدَّم تعريفاً أساسيًّاً للمساواة أمام جميع الكائنات بِغضِّ النظر عن مكانتها في الخليقة.

لقد أعطى الآبُ لابنه سلطاناً ليكون معادِلاً له. لاحِظوا بعناية أنَّ مساواة الابن لم تنبع مِن القدرة الممنوحة له، بل مِن السُّلطة التي للآب والبَركة التي منحها. فلو اعتُبِر الابن معادِلاً لأبيه لمجرَّد أنَّه يمتلك قدرته، فإنَّ تعريف المساواة سيكون مستنداً إلى المساواة في القدرة والقوَّة. هذا التعريف مِن شأنه أنْ يضع الابن في موقف محتمل، حيث يُثبت معادلته لله مِن خلال استعراض قوَّته. وهذا هو بالضبط ما طلبه الشيطان مِن يسوع في البرِّيَّة؛ أيْ طلبَ منه أنْ يقوم باستعراض قوَّته ليُثبِت علاقته بأبيه. وحمداً لله، فإنَّ الابن بقي مستريحاً مطمئنَّاً في كلمة الآب المبارَكة. إنَّ الابن يثق بأبيه بكلِّ بساطة، وليس عليه أنْ يثبت شيئاً لأحد. أصبحت علاقة الآب والابن هي العلاقة الفاصلة التي بها تحدَّد الكون. إنَّ جميع العلاقات القائمة بين الكائنات على اختلاف رتبها تكون بحسب العلاقة القائمة بينها. لقد جعل الآب ابنه مساوياً له.

**فيلبِّي 2: 5، 6** فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ.

**يوحنَّا 5: 22، 23** لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ، لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ.

وقد ضمنت هذه الخطوة بحكمة أنْ يبقى تعريف المساواة مبنيًّاً على أساس العلاقات، وألَّا يتعدَّى هذا النطاق. وبذلك نعني أنَّ العلاقة التي حدَّدها الآب هي التي أدَّت إلى المساواة بينهما. إنَّ الابن قد ورث عن الآب كلَّ ما تبقَّى مِن قوَّة وسلطان، وبالتالي فهذا لا يشكِّل جزءاً مِن تعريف المساواة. وهي أمور تتوقَّف عن أنْ تكون ذات قيمة في تلك المعادلة. لقد فعل الله ذلك ليضمن ألَّا تقوم الكائنات التي خلقها بالمقارنة فيما بينها على أساس ما لديها مِن مواهب وقدرات، بل مِن خلال قدرة كلٍّ منها على التعرُّف على الآخر وفهمه.

إنَّ طبيعة المساواة بين الآب والابن هي تعريف جوهريٌّ للكون بأسره. وإذا أسيء فهم هذه العلاقة، سوف نسيء فهم جوهر ملكوت الله. مِن أروع الأمور المتعلِّقة بابن الله هو أنَّه يعلم كلَّ شيء يمكن معرفته عن الآب. لا أحد يقدر مثله أنْ يشرح للكون بأسره مَن يكون الله. لاحِظوا كيف يصف يسوع مساواته بالآب بعبارات تدلُّ على العلاقات.

**يوحنَّا 10: 15** كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ.

لذلك، قال يسوع بكلِّ ثقة:

**يوحنَّا 14: 9** اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ.

وهذا ليس مجرَّد تصريح باطنيّ غامض ذي مضمون واحد، بل إنَّه تصريح يفيد بأنَّ يسوع يعلم كلَّ شيء عن أبيه، وهو ممتلئ بشخص الآب وصفاته. لا أحد في الكون يعرف فكر الآب تماماً مثلما يعرف الابن فكر الجميع ــ لا أحد سوى الابن. والعلاقة القائمة بينهما تكفل بأنْ نقدِّم العبادة لعلاقة المحبَّة الكائنة بينهما، بدلاً مِن أنْ نعبد ما فيهما مِن قدرة وقوَّة.

يكشف النبيُّ إرميا عن مجد ملكوت الله بالقول:

**إرميا 9: 23، 24** هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبّ».

وهكذا نجد أنَّ تعريف المساواة الذي يحدِّد المسار الكامل لملكوت الله هو تعريف قائم على هويَّة الآب وهويَّة الابن وكيف يرتبط واحدهما بالآخر. إنَّ اشتراك الابن في السُّلطان مع الآب لا يقوم على أيِّ شيء بإمكانه هو نفسه أنْ يجلبه مِن حيث القدرة والمكانة، ولكنْ فقط بالاعتماد على مشيئة الآب ومسرَّته.

**فيلبِّي 2: 9** لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ.

**الرسالة إلى العبرانيّين 1: 6** وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ:«وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ».

**لوقا 9: 35** وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً:«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا».

إنَّ المساواة قائمة على سلطان الآب لا على صفات ابنه. وفي حدود هذا التعريف، يحتفظ الآب والابن بهويَّتين فرديَّتين لكنَّهما متساويتان.

قد لا يبدو أثر ذلك واضحاً في البداية، لكنَّ تأثيره على الأسرة البشريَّة بالغ الأهمِّيَّة، لا سيَّما عندما نتحدَّث عن المساواة بين الرجل والمرأة وما الذي يحدِّدها.

## 5. الإرادة

يمكننا أنْ نرى الآن أنَّ روح ابن الله تفيض إلى أنحاء الكون كافَّة، وتسكن في أذهان الجميع وقلوبهم. ولكي يكون هذا الكون الذي خلقه الله قائماً على العلاقات بِحقّ، كان على الكائنات التي خلقها أنْ تتمتَّع بالقدرة على الاختيار بين أنْ تقبل الروح المعطي الحياة أو أنْ ترفضه. وبدون هذه القدرة على الاختيار، ستكون الخليقة بأسرها عبارة عن روبوت يسير على نحو آلي أوتوماتيكي بالكامل. لقد أعطى الله لكلِّ كائن معنوي مخلوق الإرادة مصحوبة بالقدرة على الاختيار. وهذه القدرة على الاختيار تقتصر على القيام باختيار واحد: أنْ نحبَّ الله ونقبله ونقبل روحه المعطي الحياة مِن خلال ابنه، أو أُنْ نرفض حياته ونجلب الموت على أنفسنا.

**يشوع 24: 15** وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ، فَاخْتَارُوا لأَنْفُسِكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تَعْبُدُونَ: إِنْ كَانَ الآلِهَةُ الَّذِينَ عَبَدَهُمْ آبَاؤُكُمُ الَّذِينَ فِي عَبْرِ النَّهْرِ، وَإِنْ كَانَ آلِهَةَ الأَمُورِيِّينَ الَّذِينَ أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِي أَرْضِهِمْ. وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبَّ.

**الأمثال 3: 5، 6** تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طُرُقِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُلَكَ.

تعني القدرة على الاختيار أنْ يمتلك كلُّ فرد صفات ابن الله التي تهب الحياة. وهكذا تصبح محبَّة الابن للآب هي محبَّتنا نحن؛ وخضوع ابن الله وثقته يصبحان أيضاً خضوعنا وثقتنا نحن. وبرُّه يصبح برُّنا مِن خلال اختيار الخضوع بشكل مستمرّ. إنَّ القدرة على الخضوع والاختيار جاءت محمولة في الأصل عبر ذلك النهر، ولكن كما سنرى لاحقًا، فقد نشأت أزمة في الكون، وهذا ما عرقل عائلة الله وجلب الألم الشديد على الجميع.

## 6. الأزمة تتفاقم

وتحت هذه الظروف، كُلِّف ابن الله بمهمَّة خلق الكون. وبقوَّة أبيه خلق جندَ السماء والكواكب وكلَّ حيّ. لقد خلق جمعاً غفيراً مِن الملائكة، وكان أوَّلُهم يُدعى لوسيفر – أي حامل النور.

**يوحنَّا 1: 1 – 3** فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ.

**أفسس 3: 9** وَأُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.

**الرسالة إلى العبرانيّين 1: 1، 2** اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُق كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ، الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ.

كان إبليس يعرف مكانة ابن الله وأنَّه ورث كلَّ ملء اللاهوت. وبدأت تغيب عن بصره حكمة الله المتمثِّلة في الابن. وبالاستفادة مِن هبة الإرادة الحرَّة، بدأ يتساءل عن الأساس الذي جعل مِن ابن الله مساوياً لله. بدأ يشتهي أنْ ينال مكانة الابن، حيث فكَّر في نفسه أنَّه إذا كان الابن قد تمكَّن مِن الحصول على ذلك المنصب، فلماذا لا يستطيع هو أنْ يحصل عليه أيضاً؟ لماذا لم يكن يوجد كائن متفرِّد ثالث بحيث يكون مِثل الله؟ لم يكن يفهم الدور البالغ الأهمِّيَّة الذي كان للابن، ولا روحَه الخاضِعة التي حافظت على الكون بأسره. كولوسي 2: 9، 10.

وبدلاً مِن أنْ يعتزَّ بشخص الله وصفاته هو وابنه، بدأ يشتهي أنْ ينال قدرة الله ومكانته. وقد وصل إلى أسلوب تفكير معيَّن جعله يعتقد بأنَّه إذا كان الابن قد وُلد مِن الله، فلا يمكنه أنْ يكون معادلاً لأبيه. وتساءَل لماذا كان عليه أنْ يعبد كائناً لم يكن قويّاً في ذاته، وكان مديناً بوجوده لأحد غيره. لقد توصَّل إلى استنتاج مفاده أنَّه إمَّا أنْ يُسمح له بالتمتُّع بنفس المكانة التي كان يتمتَّع بها الابن، أو أنْ يعتبر أنَّه تعرَّض للسرقة نتيجة كون الابن مساوياً للآب.

**فيلبّي 2: 5، 6** فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ.

**إشعياء 14: 12 – 14** كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: «أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ».

**حزقيال 28: 14، 15** أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ.

قال لوسيفر في قلبه أنَّه سيثبِّت عرشه فوق كواكب الله أو ملائكته، وسيصعد ليصل إلى مكانة العليِّ. وكان تركيزه بأكمله منصبّاً على السُّلطة والمكانة. لم يكن يرغب في أنْ يتحلَّى بصفات الله، فقط أراد قوَّة الله ومكانته.

كيف بدأ لوسيفر يفكِّر بهذه الطريقة؟ يبقى الأمر لغزاً. لا يخبرنا الكتاب المقدَّس بذلك، ولكنْ لأنَّ الله أعطى كلَّ البشر القدرة على الاختيار، فقد استخدم لوسيفر هذه القوَّة ليحوِّل قلبه بعيداً عن حكمة الله وعن الخضوع له ولخطَّته للكون.

حاول الله أنْ يحاور لوسيفر بخصوص المسلك الذي كان يتَّخذه. وقد شُرِحت له الأسباب التي جعلت ابن الله يشغل المنصب الذي كان له، لكنَّ لوسيفر رفض الاستماع، وأصبح الشيطانَ، أي المشتكي. لقد اتَّهم اللهَ بإقامة مملكة قائمة على الباطل، ورفض أنْ يعبد ابن الله. وبدلاً مِن ذلك، فقد اختار أنْ يقرِّر أنَّه إذا كان مِن غير الممكن أنْ يكون مساوياً لله، فلن يقبل إلّا إلهاً يتمتَّع بقوَّته الكامنة الخاصَّة به التي لم يحصل عليها مِن غيره.

هناك نقطة حيويَّة للغاية في هذا الصدد. الله وحده هو مصدر الحياة. وأنْ يقوم أحدهم بمعارضة الله ورفض الطاعة له والثقة فيه فهذا أمر يفصله عن الحياة على الفور. إنَّ الحياة تأتي فقط عبر الخضوع لله، والخضوع يأتي إلينا فقط مِن خلال روح الابن. هذا هو سبب رئيسيّ مِن بين أسباب عديدة تفسِّر أهمِّيَّة الآب والابن على حدّ سواء. وعندما رفض لوسيفر الخضوع، فهو كان يقاوم روح الابن الخاضعة. إنَّ مجرَّد فعل المقاومة هو فعل كراهيَّة وقتل. هذا هو السبب في أنَّ اهتمام الجسد هو عداوة لله (رومية 8: 7). عندما قاوم الشيطان الله، كان على الله أنْ يتَّخذ قراراً فوريَّاً ــ وهو قرار كان قد استعدَّ له، والآن صار واجباً أنْ يصدره. كان لوسيفر، مِن خلال مقاومته لله، يقول (لا) لروح المسيح، لقد كان يقتل ابن الله. كأنَّه كان يقول لله: "أريد قوَّتك، لا ابنك". كان على الله إمَّا أنْ يترك لوسيفر ليموت على الفور لأنَّه تخلَّى عن مصدر الحياة، أو أنْ يسمح لابنه بالموت بحسب ما كان يفعله لوسيفر فعليّاً في ذهنه. إنَّ موت المسيح لم يكن شكلاً مِن أشكال العدالة القضائيَّة مِن جانب الله ليوقع العقاب والانتقام؛ أنْ تأتي الحياة مِن الله وابنه وحدهما هو تفوُّق على القانون الطبيعي للكون. ولوسيفر لن يستفيد أبداً مِن الموت بهذه الطريقة لأنَّه لم يختر أبداً أنْ يقبل مَن يكون ابن الله؛ لكنَّ موت المسيح يدعم حملة الشيطان وملائكته بأكملها، وذلك لكي يصير مِن الممكن أنْ يرى الكونُ مقاصد الشيطان وفكره. لو كان لوسيفر قد مات بدلاً مِن أنْ يتَّخذ الابن هذا القرار منذ البداية، لم يكن أحد سيفهم السبب، وكانت الخلائق ستخاف مِن الله بدل أنْ تحبَّه. لقد حُوصر ابن الله في قطار المقاومة لمشيئة الله. فإمَّا أنْ يضطرَّ الله لعرقلة القطار أو أنْ يسمح لابنه بأنْ يموت، وذلك على أمل أنْ نتعرَّف على مَن يكون هو حقّاً. هذه هي الحقيقة بخصوص موت الصليب ــ أنْ نعرف هويَّة الابن الحقيقيَّة في ملكوت الله (يوحنَّا 17: 3).

بدأ الشيطان بنشر وجهة نظره بين الملائكة الآخرين، وفي النهاية اعتقد ثلث الملائكة أنَّ لوسيفر كان على حقّ. لماذا كان عليهم أنْ يخضعوا لهذا الابن الذي ورث كلَّ شيء مِن الآب، فما الذي كان مميَّزاً فيه؟ لقد رفضوا الخضوع لمشيئة الله. وللأسف، اندلعت حرب كلاميَّة [*polēmos*] في السماء، وطُرِد الشيطان وأتباعه.

**رؤيا يوحنَّا 12: 7 – 9** وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ. وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ.

كان مِن الممكن أنْ يسمح الله للشيطان بأنْ يموت، ولكنْ كان ينبغي أنْ تظهر للعلن بذار فكره الخطير. وإذ رفض الشيطان الحياة الوحيدة المتاحة له مِن خلال ابن الله، كان مِن الممكن أنْ يُسمح له بأنْ يموت، لكنْ كان مِن الممكن أنْ تبدأ الملائكة وبقيَّة الكون بالاعتقاد بأنَّ الله قد بطش به عنوة، وهذا ما أدَّى إلى الكذبة القائلة بأنَّ الله عنيف بطبيعته. سيكون مِن الواجب على كلِّ إنسان أنْ يكتشف بنفسه لماذا لا يمكن أنْ تكون الحياة ممكنة بدون الابن. سيكون لكلِّ شخص في الكون فرصة ليتَّخذ موقفاً بخصوص مَن هو على حقّ؛ الله أم الشيطان.

## 7. مخلوقون على صورته

لقد طَرَح الشيطانُ وثلثُ الملائكة التساؤلات حول مكانة الابن وعلاقته بأبيه. لم يكن هناك مَن أمكنه أنْ يتحقَّق مِن أصول العلاقة التي جمعت بين الآب والابن، وبالتالي كان عليهم الوثوق بالآب لأنَّه كان يعلم ما هو الأفضل للجميع.

وإذ كان الله عالِماً بأنَّه سيأتي وقت ستتعرَّض فيه علاقته بابنه للتشكيك، فقد وضع خطَّة تفسِّر بوضوح أكثر العلاقة الخاصَّة التي حافظ عليها مع ابنه. وسيضع مثالاً يتيح للكون الاطِّلاع عن قرب على القوى التي تحرِّك بشكل حيويّ علاقة الآب والابن القائمة على الرئاسة والخضوع.

في الواقع، بينما كان الآب والابن يخطِّطان لمشروع خلق الأرض، ازداد شعور لوسيفر بالإحباط. كان لوسيفر يرغب في أنْ يكون رئيس هذا العالَم، لكنَّ طلبه قوبل بالرفض. كان السيِّد المسيح هو حاكِم العالَم، لأنَّ هذا العالَم كان لا بدَّ مِن أنْ يُصنع على صورة الآب وابنه. بدأ إبليس يشعر بالغيرة مِن ابن الله. ليت أنَّ لوسيفر كان قد وثق في أنَّ هذا المشروع كان سيساعده بشكل أفضل على فهم العلاقة المميَّزة بين الآب والابن والسبب الذي جعل الابن يلعب دوراً بالغ الأهمِّيَّة في ملكوت الله. ولكنْ، للأسف، فهذا لم يتحقَّق.

تقدَّم الله وابنه نحو الأمام في خطَّة خلق الأرض والإعلان عن العلاقة الخاصَّة بينهما أمام الكون. قال الله لابنه: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" (التكوين 1: 26).

مَن يستطيع أنْ يفهم الإبداع الذي تدفَّق في أسبوع الخلق هذا! ويوماً بعد يوم، إذ تدفَّقت مِن الابن قدرة الله الخلَّاقة، أخذت الأرض تتشكَّل. الأرض والعشب والأزهار والأشجار والشمس والقمر والحيوانات، ثمَّ تمَّ تمهيد الطريق وصولاً إلى ذروة الخلق ــ خلق الرجل والمرأة.

إنَّ عمليَّة الخلق عمليَّة في غاية الأهمِّيَّة، وهي تروي قصَّة مُهمَّة عن الله وعن ابنه.

**التكوين 1: 27** فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُم.

وهذه العمليَّة قد تمَّت على الشكل التالي:

**التكوين 2: 7** وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً.

**التكوين 2: 18 – 25** وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ». وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَكُلَّ طُيُورِ السَّمَاءِ، فَأَحْضَرَهَا إِلَى آدَمَ لِيَرَى مَاذَا يَدْعُوهَا، وَكُلُّ مَا دَعَا بِهِ آدَمُ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ فَهُوَ اسْمُهَا. فَدَعَا آدَمُ بِأَسْمَاءٍ جَمِيعَ الْبَهَائِمِ وَطُيُورَ السَّمَاءِ وَجَمِيعَ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَمَّا لِنَفْسِهِ فَلَمْ يَجِدْ مُعِينًا نَظِيرَهُ. فَأَوْقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُبَاتًا عَلَى آدَمَ فَنَامَ، فَأَخَذَ وَاحِدَةً مِنْ أَضْلاَعِهِ وَمَلأَ مَكَانَهَا لَحْمًا. وَبَنَى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْ آدَمَ امْرَأَةً وَأَحْضَرَهَا

إِلَى آدَمَ. فَقَالَ آدَمُ: «هذِهِ الآنَ عَظْمٌ مِنْ عِظَامِي وَلَحْمٌ مِنْ لَحْمِي. هذِهِ تُدْعَى امْرَأَةً لأَنَّهَا مِنِ امْرِءٍ أُخِذَتْ». لِذلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. وَكَانَا كِلاَهُمَا عُرْيَانَيْنِ، آدَمُ وَامْرَأَتُهُ، وَهُمَا لاَ يَخْجَلاَنِ.

إنَّ الله، مِن خلال ابنه، كوَّنَ آدم مِن تراب الأرض، ثمَّ تدفَّق فيه نهر الحياة أو نُفِخت فيه نسمة الحياة. والصفات الثمينة التي لابن الله، أي نعمة الآب وثقة الابن وطاعته المُحِبَّة، انتقلت بسرور مِن خلال إرادة آدم وأصبحت جزءًا منه. أراد آدم بطبيعة الحال أنْ يخدم الله ويرضيه، لأنَّه كان ينال هذه الرغبات مِن ابن الله مِن خلال الروح.

**1 كورنثوس 2: 16** «لأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ فَيُعَلِّمَهُ؟» وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.

وضع الله آدم في ظروف جعلته يبدأ بإدراك أنَّه كان يفتقد شيئًا ما. لماذا يخلق الله آدم فقط ليجعله يمرُّ بتلك العمليَّة التي ولَّدت فيه الشعور بالاحتياج إلى شيء ما؟ هذا يعلِّمنا شيئًا مثيرًا للاهتمام عن الله وعن ملكوته: بعض الأشياء لا يمكن تعلُّمها إلَّا مِن خلال التجربة، وبالنسبة لآدم فإنَّ إدراكه أنَّ هناك شيئاً ما مفقوداً قد زاد مِن رغبته في ذلك الشيء وضاعف إحساسَه المتزايد بالامتنان عندما أعطاه الله إيَّاه.

كان آدم يفتقر إلى رفيقة تفهم أفكاره وآراءه، كان يعوزه رفيقة تقدِّر ما يُفرح قلبه وتفهم تجربته. وإذ راح آدم يدعو الحيوانات بأسمائها، بدأ يدرك أنَّه لا يوجد أحد مثله، ولا أحد يفهمه. هذه التجربة طبعت في نفس آدم الرغبة في ذلك الأمر الجوهريّ في ملكوت الله: العلاقة الحميمة. فمِن المنطقيّ أنْ تكون الطريقة الوحيدة لفهم ذلك الأمر هي تجربته بشكل عمليّ. كان مِن الممكن أنْ يُخبر الله آدم بأهمِّيَّة العلاقة ويفسِّر له كم هي أمر جيِّد، ولكنْ مِن خلال الامتياز الذي أعطي لآدم في تسمية الحيوانات، سرعان ما اتَّضحت الأمور المُهِمَّة في ذهن آدم، بل وفي قلبه أيضاً.

لماذا أوقع الله آدَم في سبات النوم، وفتح جسده وأخذ ضلعاً وشكَّل منه امرأة؟ ألا تبدو هذه طريقة معقَّدة للغاية للقيام بالأمور؟ إنَّ هذه العمليَّة فيها دروس مفيدة للغاية. إنَّ عمليَّة خروج حوَّاء مِن آدم، وقد صُنِعت مِن جسده وخرجت مِن جانبه بالقرب مِن قلبه، تتحدَّث مباشرة عن قصَّة الآب وولادة ابنه. لماذا لم يأخذ الله جزءاً مِن دماغ آدم، ولماذا أخذ الضلعَ التي تقع أعلى القلب؟ لا يُخبرنا الكتاب المقدَّس السبب، لكنَّ هذا يتحدَّث إليَّ ويُخبرني عن انحلال لمشكلة الألم الذي كان يلوِّع قلب آدم بسبب عدم وجود رفيقة تفهمه ويمكن أنْ تكون بمثابة الحاضنة الخاضعة التي ترعى البذرة التي كان يحملها في داخله.

**يوحنَّا 1: 18** اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.

**يوحنَّا 8: 42** لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي.

**الأمثال 8: 23 – 25** مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ، مُنْذُ الْبَدْءِ، مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ، قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ.

**رومية 1: 19، 20** إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، أَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ.

في الآيات التي ذكرناها منذ قليل، نرى الدليل الواضح على أنَّ ابن الله قد خرج مِن حضنه. إنَّ عبارة (أتى مِن عند...) تعني "خرج مِن"، والآية في سفر الأمثال 8: 25 تتحدَّث مباشرة عن الابتداء والخروج. والرسول بولس، في تعليقه على هذا الأمر، يقول أنَّ الخليقة تعطينا صورة مباشرة عن الله، وذلك كي نكون بلا عذر.

مَن يقدر أنْ يتخيَّل ما فكَّر به آدم عندما رأى حوَّاء للمرَّة الأولى حين التقت أعينهما وأدرك أنَّ بجانبه كان هناك مَن استطاع بحقَّ أنْ يفهمه ويقدِّر قيمته؟ كان هناك بجانبه شخص صُنِع مِن جسده وأمكنه أنْ يحمل نسله ويرعاه ويكون الطرف الأساسيّ الخاضِع الذي كان يحتاج إليه ليُظهر لأبنائه وأحفاده أهمِّيَّة المثابرة في الخضوع والطاعة. وتماماً كما احتاج الله إلى أنْ يتحلَّى ابنه بسمات الخضوع هذه، أقام الله مملكة أرضيَّة لكي لا يتمكَّن الزوج مِن أنْ يبني مملكة بدون زوجته. ولن يتعلَّم أطفاله الخضوع بدون أنْ يكون أمامهم مثال حيّ في صورة الأم.

هناك قداسة عميقة في العلاقة بين الزوج والزوجة. هذه العلاقة، متى ما قامت على الأساس الصحيح، تتحدَّث مباشرة عن العلاقة بين الآب والابن، وهي ذكرى دائمة للتهم المزيَّفة التي وجَّهها الشيطان ضدَّ ابن الله.

**1 كورنثوس 11: 10** لِهذَا يَنْبَغِي لِلْمَرْأَةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا سُلْطَانٌ عَلَى رَأْسِهَا، مِنْ أَجْلِ الْمَلاَئِكَةِ.

لقد صمَّم الله علاقة الزوج والزوجة لكي يعلِّم الملائكة عن العلاقة التي بين الآب والابن. يا له مِن امتياز رائع أنْ تُخلق تلك العلاقة لهذا الغرض!

ونحن إذ نعرف هذه الحقيقة، يمكننا أنْ نجد أنَّ سرَّ الزواج يكمن في أنْ نسمح لأنفسنا بأنْ تنجذب مِن خلال روح الله إلى صورة العلاقة التي بين الآب والابن؛ فالزوج يتصرَّف على اعتبار أنَّه مصدر البَركة، والزوجة تتصرَّف على أنَّها دليل حيّ على الخضوع والثقة المُحِبَّة.

حصل آدم وحوَّاء على دعوة سامية ومُبهِجة. كم مِن البؤس كان بالإمكان تجنُّبه لو بقيا على صورة الآب والابن!

## 8. أبو الكذَّاب

دعونا نتذكَّر أنَّ الشيطان قد قرَّر أنَّه إذا لم يسمح الله له بالوصول إلى قوَّة ابن الله وامتيازاته، فإنَّه سيصل إلى استنتاج مفاده أنَّ العبادة تليق فقط بإله له قوة متأصِّلة فيه ولم يرثها عن غيره. بعد أنْ رفض الله قبول "إصلاحات" الشيطان، وُضع الشيطان في موقف اضطرَّه إلى الاعتراف بأنَّه ما يزال مديناً للآب، حتَّى لو لم يعترف بالمركز الحيوي الذي يشغله الابن.

لم يكن هناك طريقة تسمح للشيطان بأنْ يقيم مملكة على أساس مبادئه الخاصَّة بينما كان عليه أنْ يُدرك باستمرار أنَّ كلَّ القوَّة تأتي مِن عند الله. ولهذا السبب، فقد اختلق الكذبة الكبرى القائلة بأنَّ كلَّ كائن له حياة في ذاته. كانت هناك عدَّة خيارات للاعتقاد بهذه الطريقة.

يمكنكم أنْ تصدِّقوا أنَّكم ببساطة خالدون وأنَّ الخلود هو سمة طبيعية لكلِّ مخلوق. يمكنكم أنْ تصدِّقوا أنَّ الحياة توجد فقط على شكل قوَّة وأنَّ الجميع على اتِّصال بها ويمكنهم استخدامها لفعل ما يحلو لهم. أو يمكنكم أنْ تؤمنوا بالله الذي منحكم هبة الخلود لكي تستخدموها بأفضل ما لديكم. لا يهمُّ الخيار الذي تقومون به طالما أنَّكم تعتقدون أنَّ لديكم مصدر حياة خاصّ بكم. هذه أكبر كذبة في الكون. وكما قال يسوع:

> **يوحنَّا 8: 44** أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ.

كان مِن الممكن أنْ يُنهي الله الكذبة على الفور، وذلك بأنْ يدع مَن رفضوا ابنه يموتون، لكنَّ الابن واصل توفير الحياة لهم رغم أنَّ الأمر سبَّب له ألماً مبرحاً. ولكي يتمكَّن الكون مِن رؤية آثار الكذبة، كان على الابن أنْ يحمل الملائكة الساقطة ويزوِّدهم بمقوِّمات الحياة حتَّى في الوقت الذي كانوا يرغبون فيه بقتله وإهلاكه. بما أنَّ الشيطان وملائكته قد رفضوا يسوع، فإنَّهم لم ينالوا بعد ذلك روح الطاعة والثقة والخضوع التي تأتي من عنده وحده. لقد صلبوا لأنفسهم ابن الله في شخصه وروحه، ومع ذلك لم يتوقَّف الله عن إمدادهم بقوَّة الحياة، وذلك حتَّى يكون لدى الشيطان وقت ليعرض أفكاره وفلسفته، وقد فعل الله ذلك لكي يعطي الكون فرصة لاختيار مَن كان أكثر عِلماً. وكما ذكرنا سابقا، فالسماح للشيطان بمقاومة الله كانت له تكلفة ــ وكانت التكلفة هي حياة ذاك الذي تمَّ رفضه، أي ابن الله. كان الشيطان قتّالًا مِن البدء. ونتيجة مقاومته لله فقد تسبَّب بموت المسيح. كان هذا الموت يتمُّ في ذهن الشيطان، واحتاج إلى أنْ يتجلَّى في الكون لكي يرى الجميع ما يجري. لم يُرِد الله أنْ يحدث هذا الأمر على الأرض، ولكن للأسف كانت الأرض هي المكان الذي سيحدث فيه ذلك كلّه.

## 9. البشريَّة تتعرَّض للإغواء

في فصل سابق نظرنا في عنصر هامّ، وهو الإرادة. إنَّ هِبة الإرادة الممنوحة للرجال والنساء تتيح لهم اختيار الخضوع لله. مِن دون القدرة على اختيار الخضوع، لا تكون هناك بَرَكة حقيقيَّة أو شعور بإرضاء الآب. إنَّ الشعور برضا الآب هو الذي يجلب البركة. لاحِظوا ما يقوله يسوع:

**يوحنَّا 8: 29** وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي، وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي، لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ.

كان لدى يسوع شعور دائم بالبَركة مِن خلال إخضاع إرادته لإرادة الآب على الدوام. إنَّ موهبة الإرادة ينتج عنها العديد مِن النِّعَم الأخرى، ولكنَّ هذا لا يدخل ضمن نطاق هذه الدراسة. عندما خلق الله آدم وحوَّاء، كان عليه أنْ يوفِّر لهما وسيلة لممارسة إرادتهما. كان عليه أنْ يضعهما أمام اختيار. مِن دون أنْ تكون لدينا القدرة على أنْ نختار أنْ نُغضِب الله، لا تكون لدينا القدرة على أنْ ننعم ببَركة إرضائه.

لقد أوجد الله القدرة على إرضائه مِن خلال أنَّه أتاح خيار مقاومته عن طريق التناول مِن شجرة معرفة الخير والشرّ.

**التكوين 2: 16، 17** وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ».

إنَّ آدم وحوَّاء، عندما كانا يختاران كلَّ يوم أنْ لا يأكلا مِن تلك الشجرة المميَّزة، كانا ينالان بَركة الخضوع؛ وهذه البركة هي الشعور بأنَّ الله كان راضياً عليهما. ومِن دون تلك الشجرة، لم يكونا ليحصلا على هذه البَركة.

على الرغم مِن أنَّ الشيطان قد أُقصِيَ مِن السماء، لكنْ سُمِح له بالدخول إلى عالَمنا مِن خلال المكان الوحيد الذي كان فيه خيار الإساءة لله خياراً مفعَّلاً. وهذا هو السبب في أنَّنا نجد الشيطان وقد اتَّخذ شكل حيَّة استقرَّت على شجرة معرفة الخير والشرّ. نعلم مِن سفر الرؤيا أنَّ هذه الحيَّة هي الشيطان.

**رؤيا يوحنَّا 12: 9** فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ.

بحسب ما تعلَّمناه عن نظرة الشيطان للحياة، نرى أنَّه، في سعيه لضمّ آدم وحوَّاء إلى مملكته، سيعرض أمامهما وجهة نظر حول الطريقة التي ننال بها الحياة، ووجهة النظر هذه تزيل الحاجة إلى الاعتماد على الله. لاحِظوا ما يقوله الشيطان:

**التكوين 3: 1 – 5** وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟». فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ

نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ».

لمَّح الشيطان إلى فكرة أنَّ إثارة غضب الله مِن خلال رفض ما أمر به لن تجلب اللعنة بل البَركة؛ وأشار إلى أنَّ أعينهما ستنفتح على معرفة وحكمة عظيمتين، وهما نفسيهما سيصيران مثل الآلهة. وقال لهما أنَّهما لن يموتا، ممَّا يعني أنَّه كان يعلِّمهما أنَّه يمكنهما الاستمرار في البقاء أحياء دون الاعتماد على الله أو الوثوق فيه، وأنَّه كان بإمكانهما أنْ يثقا في نفسيهما وحكمتهما في تقدير الأمور.

كم مِن المحزن أنَّ حوَّاء قد أخذت بنصيحة الحيَّة، ثمَّ ذهبت إلى آدم وأقنعته بأنْ يشكَّ في الله ويؤمن بالكذبة الكبرى التي نطقت بها الحيَّة! وبمجرَّد أنْ أكلا هذه الفاكهة وصدَّقا الكذبة، تغيَّر إدراكهما بالكامل عن الله وعن نفسيهما وعن الطريقة التي تسير بها الأمور في الكون.

إنَّ آدم وحوَّاء، عندما قَبِلا تلك الكذبة، ابتعدا عن الإيمان بأنَّ كلَّ الأشياء تأتي مِن عند الآب. لقد رفضا فكرة أنْ تكون سعادتهما معتمدة على الثقة فيه والخضوع له. وهما، مِن خلال رفض الأمر الذي أصدره الله، قاما عمليَّاً بقتل أجمل صفات ابن الله، ألا وهي الثقة القائمة على الطاعة والخضوع. وكان لا بدَّ أنْ يُظهِر الله لآدم وحوَّاء أنَّ التوقُّف عن الخضوع له كان في الواقع هجوماً مباشراً على ابنه وعلى كلِّ ما كان يرمز إليه. كان آدم وحوَّاء قد قتلا بتفكيرهما ابنَ الله مِن خلال مقاومتهما لروح الخضوع، التي هي روح ابن الله. هذه هي نقطة في غاية الأهمِّيَّة وينبغي أنْ نفهمها. إنَّ فِعل المقاومة لله هو قتل لروح ابنه، الذي هو جوهر الخضوع. ولهذا السبب يشير يسوع إلى إبليس بوصفه قتَّالاً مِن البدء.

**يوحنَّا 8: 44** أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ.

إنَّ جميع الملائكة الذين رفضوا ابن الله وانقلبوا عليه بدافع الكراهيَّة قد قتلوه في أفكارهم. يربط الإنجيل بوضوح بين الكراهيَّة والقتل.

**1 يوحنَّا 3: 15** كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ.

كانت ذبيحة ابن الله متوقَّعة مسبقاً قبل خلق هذه الأرض. وكانت الطريقة الوحيدة لكي يفهم الكون ما كان يجول في أذهان الملائكة المتمرِّدين هي أنْ تظهر أفكارهم للعلن. لاحِظوا ما يلي:

**1 بطرس 1: 19، 20** بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ، مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلكِنْ قَدْ أُظْهِرَ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ مِنْ أَجْلِكُمْ.

إنَّ تمرُّد الشيطان لم يباغت الله، بل كان الله مستعدّاً لذلك؛ لقد خطَّط الآب والابن في مشورتهما معاً طريقةً للخلاص، لكنَّ تمرُّد الشيطان جعل تنفيذ الخطَّة أمراً لا بدَّ منه. عندما صرخ قائلاً: "أصعدُ إلى السماء وأصيرُ مثل العليّ"، لم يكن هناك مكان لابن الله في هذه الخطّة؛ كان لا بدَّ مِن خلعه عن العرش وتدميره.

لقد قام إبليس بتمرير بذار التمرُّد إلى البشر، وعندئذ صار مِن واجب الابن أنْ يموت مِن أجلهم. سيُظهر المسيح في العالَم المادّي أنَّ البشر قد قتلوا ابنَ الله الوديع بأفكارهم. كان لا بدَّ مِن فضح ذلك لكي يراه الجميع. إنَّنا، بالنظر إلى المسيح المعلَّق على الصليب، نرى عمل الحيَّة وقد أصبح مفضوحاً وعارياً. وهذا سبب مِن الأسباب التي مِن أجلها أمِرَ موسى أنْ يضع حيَّة على راية؛ كان عمل الصلب هو فضح لخطط الشيطان الرامية إلى القتل. لم يعد يستطيع إخفاء نواياه الحقيقيَّة تجاه المسيح.

وهكذا عندما أخطأ آدم وحوَّاء ورفضا روح الخضوع التي للمسيح، صارا بالاشتراك مع الشيطان مذنبَين في القتل. لقد قُتل المسيح في أفكار آدم وحوَّاء.

**رؤيا يوحنَّا 13: 8** فَسَيَسْجُدُ لَهُ جَمِيعُ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ، الَّذِينَ لَيْسَتْ أَسْمَاؤُهُمْ مَكْتُوبَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ فِي سِفْرِ حَيَاةِ الْخَرُوفِ الَّذِي ذُبِحَ.

**الرسالة إلى العبرانيّين 6: 6** وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِم ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ.

وقد قُدِّمَت ذبيحة ابن الله لآدم وحوَّاء على شكل رمز مِن خلال الفِعل التالي.

**التكوين 3: 21** وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.

كان لا بدَّ أنْ تأتي أقمصة الجلد هذه مِن الحيوانات. وكان لا بدَّ أنْ تُذبَح الحيوانات لتغطية آدم وحوَّاء. لم يكونا بحاجة إلى ملابس إلى أنْ أخطأا. كانا متسربلين بمجد الله، لكنْ عندما رفضاه، فَقدا ذلك المجد. كان ذبح الخروف يرمز إلى الوعد الذي صنعه الله بإرسال ابنه لكي يُظهر لهما ما فعلاه في ذهنيهما، ولكي يساعدها على رؤية كيف أنَّ مقاومة الله أمر رهيب للغاية؛ يا لها مِن لعنة فظيعة نجلبها على أنفسنا عندما نرفض أنْ نخضع! إنَّ هذا الأمر يحزُّ في نفس ابن الله ـ ألا وهو جوهر الخضوع.

**التكوين 3: 15** وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ.

**يوحنَّا 1: 29** وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ:«هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ».

يا له مِن أمرٍ مدهشٍ تنازلَ ابنُ الله ليقوم به! فهو سيُظهر للكون ما هي النتائج المترتِّبة على مقاومة الخضوع؛ إنَّها تقتل روح أثمن شخص يحبُّه الآب ـ ابنه. استجاب ابن الله لمأساة المقاومة مِن خلال إظهار الخضوع بقوَّة وعلى نحو لا يصدَّق حتَّى أنَّ الكون لن يكون على نفس الحال بعد ذلك. وهذا سيُظهر للكون أيضاً القيمة الثمينة التي لابن الله، وأنَّنا نعتزُّ به ونقدِّره مِن خلال تقديرنا واعتزازنا بروحه الوديعة الخاضعة للآب ولوصاياه.

## 10. تلخيص

لقد تتبَّعنا بعناية مِن الكتاب المقدَّس ما أعلنه الله عن ذاته منذ البداية، وتعلَّمنا ما يلي:

1. لا إله إلَّا إله واحد حقيقي، هو الآب. يوحنَّا 17: 3 ؛ 1 كورنثوس 8: 6 ؛ 1 تيموثاوس 1: 17.
2. وهو مصدر كلِّ الحياة والبَركة. يعقوب 1: 17.
3. وقد وَلَد ابناً على صورته وأعطاه كلَّ القدرة وجعله مساوياً له. الرسالة إلى العبرانيّين 1: 1-5؛ الأمثال 8: 12 – 20؛ فيلبّي 2: 6 ؛ يوحنَّا 5: 26؛ 8: 42. كولوسي 2: 9.
4. ابن الله هو المفتاح للدخول إلى ملكوت الله، حيث تجتمع فيه الصفات الحيويَّة المتمثِّلة في الطاعة الواثقة والخضوع والبَركة. متَّى 3: 17؛ مزمور 40: 8؛ يوحنَّا 8: 29.
5. إنَّ روح الابن تنبثق إلى الكون وتستقرُّ في قلوب جميع مَن يختارون الخضوع لوصايا الآب. رؤيا يوحنَّا 22: 1، 2؛ يوحنَّا 7: 37، 38؛ رومية 8: 9، 10.
6. رفضَ لوسيفر، أوَّل ملاك مخلوق، الاعترافَ بهويَّة ابن الله ورفضَ الخضوع للأمر الإلهيّ القاضي بأنْ يقدِّم العبادة للابن. يوحنَّا 5: 22؛ فيلبّي 2: 6؛ رؤيا يوحنَّا 12: 7-9 ؛ الرسالة إلى العبرانيّين 1: 6.
7. وهكذا صار لوسيفر الشيطان، واقتاد معه ثلث الملائكة وجعلهم يتبنّون الاعتقاد الجديد بأن لا حاجة للخضوع إلى الله لأنَّ لدينا حياتنا الخاصَّة بنا. رؤيا يوحنَّا 12: 4، التكوين 3: 4، 5.
8. إنَّ عمل المقاومة لأوامر الله يعادل قتل ابنه، الذي هو جوهر الخضوع والثقة والطاعة. يوحنَّا 8: 44؛ رؤيا يوحنَّا 13: 8؛ 1 يوحنَّا 3: 15.
9. خضع الابن لخطّة أبيه التي تهدف لأنْ تُظهر للكون ما الذي يفعله بالابن العصيانُ للآب، وذلك عن طريق أنَّه أرسل ابنه ليموت مِن أجلنا. غلاطية 3: 15؛ الرسالة إلى العبرانيّين 6: 6.

لقد قدَّمنا حتَّى الآن صورة واضحة مِن الكتاب المقدَّس عن الله وابنه وروحهما وطريقة عمل كلّ منهما. وتعرَّفنا أيضاً على كذبة الشيطان فيما يتعلَّق بمصدر الحياة وروح المقاومة. والآن، دعونا نتتبَّع الخطوات الأوَّليَّة لنوعين مختلفين مِن الأنظمة التي تطوَّرت على الأرض.

## 11. طريقان

درسنا في الفصول السابقة اختلافاً فِكريّاً مُهِمّاً بين الله والشيطان.

- لقد قامت مملكة الله على أساس تسليط الضوء على قدسيَّة العلاقات؛ أمَّا مملكة الشيطان فهي ترتكز على اكتساب القوَّة وامتلاكها.
- تسير مملكة الله على أساس البَركة التي تأتي مِن خلال الخضوع والثقة والطاعة؛ بينما تعمل مملكة الشيطان مِن خلال "البَركة" التي تأتي بالمقاومة والاستقلال عن السُّلطة الإلهيَّة.
- في مملكة الله يتمُّ تعريف المساواة مِن خلال القدرة على معرفة الآخر؛ أمَّا مملكة الشيطان فهي تعرِّف المساواة بالقدرة والمكانة والإنجاز مِن خلال القوَّة الكامنة.
- تُحكم مملكة الله مِن خلال تركيبة أسريَّة، والحبُّ هو الذي يدفع أفراد المملكة إلى الخضوع. تُحكم مملكة الشيطان مِن خلال أشكال مختلفة مِن الهيئات والأنظمة القائمة على السُّلطة، ويتمُّ إرغام أعضاء المملكة بالبطش والاستبداد.
- تُعرِّف مملكة الله القيمة على أساس الصفات والعلاقة؛ بينما تحدِّد مملكة الشيطان القيمة على أساس القوَّة.

يمكن تلخيص هذه الاختلافات في النصّ التالي مِن الكتاب المقدّس:

> **إرميا 9: 23، 24** هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.

إذ نستعرض التاريخ، سنلاحظ أنَّ آراء البشر عن الله تنقسم في هذا الاتِّجاه. في بعض الأحيان، قد يكون مِن الصعب تمييز المبدأ المحرّك الرئيسي، وذلك لأنَّ مملكة الشيطان تستخدم العلاقات لأغراض الاستحواذ على السُّلطة، وبالتالي يمكن أنْ يبدو الكلام مرتبطاً بالعلاقات، ومع ذلك يكون التركيز منصبَّاً على القوَّة.

وكما اقترح الشيطان على حوَّاء، فإنَّ قبول الاعتقاد القائل بأنَّ لدينا حياة في ذواتنا يقودنا بشكل طبيعي إلى أن نرى أنفسنا آلهة. وبأخذ هذا الإدراك بعين الاعتبار، نجد أنَّ العديد مِن المفاهيم الإنسانيَّة حول الله هي في الواقع إسقاطات لصفات الإنسان وقدراته. يظهر هذا بوضوح كبير في الأساطير اليونانيَّة وأوصاف زيوس ــ ملك الآلهة؛ أفروديت ــ إلهة الحب والجمال؛ أبولو ــ إله الموسيقى والطبّ والصِحَّة؛ آريس ــ إله الحرب. هذه الآلهة هي مجرَّد تأليه للصفات الإنسانيَّة، وهي في الأساس عبادة للذات وتأليهها، وهذا ما وعد به الشيطان حوَّاء في الجنَّة.

أريد أنْ أبدأ سرد تاريخنا مِن خلال مقارنة شخصيَّتين في الكتاب المقدَّس تقدِّمان أمثلة واضحة عن هذين النظامَين، وهما إبراهيم ونمرود.

## 12. أساسات بابل

قبل أنْ نتناول مباشرة قصَّة كلٍّ مِن إبراهيم ونمرود، سنراجع بإيجاز التاريخ الذي يأتي بنا إلى تلك المرحلة.

كان الخوف هو أوَّل ثمرة مِن الثمار التي نبتت كنتيجة لقبول كذبة الشيطان. لاحِظوا ما يلي:

**التكوين 3: 9، 10** فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ».

وبما أنَّ آدم كان قد تبنَّى الكذبة وصدَّقها، فهذا يعني أنَّه اعتقد أنَّ له حياةً في ذاته. كانت المشكلة أنَّه أدرك الآن أنَّ الله هو مصدر حياة أكبر وأقوى ممَّا كان عليه هو. وهذا ولَّد فيه الشعور بالخوف. لم يكن بالإمكان أنْ تُفتح الأبواب أمام هذا الخوف طالما كان آدم غير مؤمن بأنَّ له حياة في ذاته وطالما كانت تُسعِده الثقة بأنَّ الله أب مُحِبّ أعطاه كلَّ شيء. لقد كان الخوف أوَّل ثمرة مِن ثمار الكذبة.

الأمر الآخر الذي أنتجته الكذبة هو الكبرياء. عندما سُئِل آدم عمَّا فعله، لم يستطع أنْ يعترف بأنَّه كان مخطئاً. لم تكن كبرياؤه لتسمح له بذلك.

**التكوين 3: 11، 12** فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟». فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ».

ألقى آدم باللوم على زوجته. كان يجب أنْ يتذكَّر أنَّه، بحسب نظام الله، كان رأس أهل بيته؛ وجميع المسؤوليَّات بخصوص ما يحدث في عائلته تقع في النهاية على عاتقه هو. إنَّ إلقاء اللوم على زوجته كان بمثابة خيانة للكذبة التي صدَّقها والتي تقول بأنَّ زوجته لديها قوَّة بداخلها تؤثِّر بها على سلوكه، وبالتالي يمكنه أنْ يلومها ولا يتحمَّل هو أيَّة مسؤوليَّة. مِن الصحيح القول أنَّ حوَّاء جرَّبت آدم، لكنَّه قام بالاختيار، وبالتالي كان مسؤولاً، لكنَّه لم يكن ليقبل ذلك. هذه هي الثمرة الثانية مِن ثمار الكذبة ــ الكبرياء.

شكَّلت هاتان الثمرتان البذار التي مهَّدت لظهور بابل.

وكان هناك المزيد مِن ثمار الشرّ في طريقها للظهور. اعترف آدم وحوَّاء بخطأهما، لكنَّ بذار التمرُّد بقيت معهما وانتقلت إلى ابنيهما قايين وهابيل. كان هابيل يعتزُّ بروح المسيح الخاضعة، وتبع بتواضع الخطّة التي وضعها الله لاستعادة البشر واستردادهم ليقبلوا ابنه بالكامل مِن جديد. اعترف قايين بالله، لكنَّه رفض العمل بحسب خطَّة الله. هنا الثمرة الثالثة ــ العصيان والمقاومة. لقد غيَّر طريقته في العبادة بحيث تتناسب معه، وتجاهل ذبيحة الحَمَل. توسَّل هابيل إلى أخيه لكي يقوما بعمل ما أعلِنَ لهما، لكنَّ قايين رفض الاستماع. استمرَّ قايين في المقاومة، وفي

النهاية قاده الشيطان، وهو في حالة غضب، إلى قتل أخيه بعنف. وهنا المزيد مِن الثمار: الغضب والكراهيَّة والقتل. إنَّ قتل هابيل كان تعبيراً عن فكر الشيطان تجاه المسيح. لقد قُطِعت نفس هابيل الخاضعة الوديعة على يد أخيه الذي أوحى إليه الشيطان أنْ يقوم بذلك، وكان ذلك أوَّل دليل على المشاعر العنيفة التي كانت متوغِّلة في قلب الشيطان تجاه المسيح.

وكما ذكرنا سابقاً، فإنَّ روح المقاومة تسلب مِنَّا شعورنا ببَركة الله ورضاه. وبدون البَركة الإلهيَّة نشعر بعدم الأمان وعدم الاستحقاق. قاوم قايين توسُّلات والده ونداءات أخيه ودعوات الرحمة التي قدَّمها إليه الله. وكلَّما ازدادت مقاومة قايين، ازداد شعوره بانعدام الأمان وعدم الاستحقاق. عندما أعلن الله لعنة قايين، لم يكن هذا شيئاً جلبه الله عليه، بل كان نتيجة طبيعيَّة للمقاومة؛ أي الخوف وانعدام الأمان والقيمة. كانت اللعنة هي النتيجة الطبيعيَّة لتصرُّفات قايين ـ كان الله يكتفي بمجرَّد الإفصاح عنها ليس إلّا.

> **التكوين 4: 11، 12** فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهًا وَهَارِبًا تَكُونُ فِي الأَرْضِ.

يوحي التعبيران (تائهاً وهارباً) بالتشرُّد والاضطراب وعدم الاستقرار. وهذه ثمار أخرى: عدم الأمان وعدم الاستقرار وفقدان القيمة.

بعد أنْ فقدَ آدم وحوَّاء هابيل، وهبهما الله ابناً آخر ـ شيث. وقد أظهر المزيد مِن تلك الروح المتواضعة التي كانت عند آدم وهابيل. وخرجت قبائل مِن عائلة آدم. وقبيلة شيث، التي غمرها شعور ببَركة الله نتيجة خضوعها لوصاياه، عُرِفت باسم (أبناء الله). أمَّا قبيلة قايين، التي امتلأت بثمار التمرُّد وفقدان القيمة، عُرِفت باسم (أبناء الناس وبناتهم).

كان الشيطان يعلم أنَّ الأطفال يولدون في العالَم معتمدين بشكل كامل على والديهم، وذلك لأنَّ الله قد شكَّل العلاقات الإنسانيَّة في إطار الأسرة. هذا الوضع مِن شأنه أنْ يساعد الأطفال على تعلُّم الاتِّكال على الله. كانت الأمُّ في الأسرة هي العضو الرئيسي الذي يقوم بتعليم الأطفال التحلِّي بصفة الخضوع الثمينة. لقد أغرى الشيطان أبناء الله لكي يطلبوا الزواج مِن بنات الناس. كانت بنات قايين قد امتلأن بنفس الروح التي كانت لآبائهن: روح الخوف والكبرياء والتمرُّد والغضب والكراهيَّة. وكلُّ هذه الثمار الشرّيرة كانت مخبَّأة في قلوب النساء اللواتي تعلَّمْن تجميل مظهرهنَّ الخارجيّ. لم يتمكَّنْ أبناء الله مِن التعرُّف على طباعهنَّ وصفاتهنَّ، فتزوَّجوا مِن أولئك النساء. وأدَّت هذه الزيجات إلى ظهور أشرّ الطغاة. يدعوهم الكتاب المقدَّس بالعمالقة. والمعنى الأقرب يشير إلى الغرور العملاق والتركيز على انتزاع القوَّة.

> **التكوين 6: 1 – 5** وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، أَنَّ أَبْنَاءَ اللهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». كَانَ فِي

الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو اللهِ عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ.

وفي غضون فترة زمنيَّة قصيرة، نُزِعت مِن قلوب أبناء الله روح يسوع الخاضِعة المُحِبَّة، وكانت أفكار الجميع تقريباً شرّيرة باستمرار. لقد سحب الله روحَه، وسمح للطوفان بإنهاء الشرّ والدمار والعنف. وافتقدَ ذنوبَ الأب في أبنائه في الجيل الثالث والرابع. بدأ الله بداية جديدة مع نوح وعائلته، ولكنْ سرعان ما حصل الشيطان على ثغرة هامَّة تمكَّن الدخول مِن خلالها لتأسيس مملكة بابل. كان حام قد تعرَّض لتأثير أشرار العالَم القديم. وذات يوم عندما وجد والده في خيمته وكان قد تعرّى وسَكِر، أقحم أنفه وفعل أمراً في غاية السوء لدرجة أنَّ ثمار التمرُّد وانعدام الأمن والدونيَّة كانت ستنقل نسله إلى قمم جديدة مِن الهيمنة والسيطرة والشرَّ للتعامل مع شعورهم المتزايد بالخوف وانعدام الأمان.

كان نمرود مِن أحفاد حام. وهذا ما يقوله الكتاب المقدَّس عنه.

**التكوين 10: 8 – 10** وَكُوشُ وَلَدَ نِمْرُودَ الَّذِي ابْتَدَأَ يَكُونُ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ، الَّذِي كَانَ جَبَّارَ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ. لِذلِكَ يُقَالُ: «كَنِمْرُودَ جَبَّارُ صَيْدٍ أَمَامَ الرَّبِّ». وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَمْلَكَتِهِ بَابِلَ وَأَرَكَ وَأَكَّدَ وَكَلْنَةَ، فِي أَرْضِ شِنْعَارَ.

تعني كلمة (جبَّار) طاغية قويّ. لم يكن في شخصيَّة نمرود ما يمتُّ للخضوع بِصِلة. إنَّه أوَّل رجل في الكتاب المقدَّس يحصل على لقب (مَلِك)، ويوصف بأنَّه قام بتأسيس مملكته الخاصَّة دون أيّ اعتراف مِن جانبه بإله السماء. وكانت بابل أوَّل مدينة في مملكته. ها قد وضعنا الأسس التي تحدِّد صفات نمرود، يمكننا أنْ نبدأ بدراسة عناصر الدِّين الذي قام بتأسيسه.

للاطِّلاع على المزيد مِن التحليل المتعمِّق لهذه المسائل، يمكنكم تحميل كتاب (Life Matters) باستخدام رابط الموقع التالي:

maranathamedia.com/book/view/life-matters

## 13. جوهر مدينة بابل

عندما نأخذ في الاعتبار جميع العوامل التي تشكِّل شخصيَّة نمرود المعقَّدة، يمكننا تقريباً أنْ نخمِّن نوعيَّة نظام العبادة الذي كان سيؤسِّسه. ستكون تلك الشخصيَّة ـ بما كانت تتَّسم به مِن روح المقاومة والعصيان ـ أشبه بالنقيض التامّ لِما يعلنه الكتاب المقدَّس عن الله، وهذا كان بالضبط النظام الذي وضعه نمرود. إليكم هذا الاقتباس مِن المؤرِّخ يوسيفوس، والذي يوضِّح فيه الأساس الذي قامت عليه فلسفة نمرود.

> "في تلك الساعة كان نمرود هو الذي أثار حماستهم ليوجِّهوا تلك الإهانة والازدراء لله. لقد كان حفيد حام ابن نوح، وكان رجلاً جريئاً وذا يد شديدة البأس. وقد أقنعهم بألَّا ينسبوا [أي القوَّة] إلى الله، كما لو أنَّ سعادتهم كانت بسبب ما وفَّره لهم مِن موارد، بل أقنعهم بأنَّ شجاعتهم هي التي منحتهم السعادة. كما قام بتغيير الحكومة شيئاً فشيئاً لتصير حكومة طاغية، ولم يرَ أيَّة طريقة أخرى لصرف أنظار الناس عن مخافة الله إلَّا مِن خلال جعلهم يعتمدون اعتماداً دائماً على قوَّته هو..." يوسيفوس، تاريخ اليهود 1، الفصل 4، الفقرة 2.

لقد رفض نمرود بإصرار البَركة الإلهيَّة عندما اختار أنْ يصدِّق كذبة الحيَّة. إنَّه اختار التركيز على السُّلطة بدلاً مِن الأخلاق. وعلَّم الناسَ أنْ ينظروا إلى أنفسهم تماماً كما علَّم الشيطان آدم وحوَّاء. وسيكون لهذه الفلسفة تأثير كبير على تركيبة الأسرة. لاحِظوا ما يقوله أحد المؤرِّخين:

> "لقد استندت سُلطة الحكَّام في الماضي على شعور أقربائهم مِن أبناء القبيلة، وكانت سُلطة الزعيم تمثِّل صورة للسيطرة الأبويَّة. نمرود، على العكس مِن ذلك، كان صاحب السيادة على الأرض والناس طالما أنَّهم مِن سكَّانها، بغضّ النظر عن العلاقات الشخصيَّة. حتَّى ذلك الوقت كانت هناك قبائل على شكل عائلات ممتدَّة، أي مجتمع؛ أمَّا الآن فقد كانت هناك أمَّة، مجتمع سياسي، أي دولة" إي تي جونز. إمبراطوريَّات الكتاب المقدَّس. 1904 صفحة 51.

لقد ساعد النظام الأبويّ في العصور السابقة على تعزيز مبادئ البَركة التي تأتي مِن خلال الطاعة لأسرة يقودها الأب وترعاها الأم. قام نمرود بتغيير هذا كلّه، وخلق تركيزاً على زعيم خاصّ بمنطقة ويمتلك أصولاً ماديّة كالمحاصيل والأراضي والمباني. كانت العائلات عائلات مِن البدو الرحَّل، وكانت تُحكَم اعتماداً على الشعور الجامع بين أفراد القبيلة الواحدة مِن الأقارب. وكانت السُّلطة تستند على احترام تلك العلاقة. حكمَ نمرود بالاعتماد على تخويف الناس مِن السُّلطة وجعلهم يخدمونه، حيث لجأ إلى القمع والاستبداد.

أخذ نمرود نفَساً آخر، واتَّخذ خطوة لتحطيم صورة الله في العلاقة بين الزوج والزوجة. تزوَّج نمرود مِن أمِّه. إنَّ علاقة الزواج مِن هذا النوع هي أبعد ما تكون عن علاقة الآب والابن.

عندما مات نمرود، ذَكرَت زوجته (أمّه) سميراميس أنَّه أصبح متجسِّداً في الشمس، وكان الحامي والمدافع عن الشعب. لقد صارت سميراميس الآن حلقة الوصل الرئيسيّة بين العالَمين المادّي والروحي. وهكذا حصلت على لقب "ملكة السماوات" (إرميا 7: 18).

كان التواصل معها هو البوّابة التي يدخل مِن خلالها المرء لينال حماية نمرود وقوَّته. ازدهر نظام العبادة هذا، واستحوذت أنظمة عبادة الشمس على أجزاء كثيرة مِن العالَم المعروف آنذاك. لقد أصبح يوم الأحد أسمى أيَّام الأسبوع للعبادة على عكس بَركة ابن الله المميَّزة التي تأتي خلال ساعات يوم السبت (التكوين 2: 3). وكان عند سميراميس ابن يُدعى تمُّوز. ولكي تحافظ سميراميس على مكانتها، زعمت أنَّها حبلت به مِن خلال الاتِّصال المباشر بأشعَّة الشمس، أي بنمرود. والآن أصبح نمرود متجسِّداً في تمُّوز. وارتبطت عمليَّة التناسخ هذه بتجديد عبادة الطبيعة والربيع. وأقيمت مهرجانات للنوح والبكاء على تمُّوز عندما كان ينتهي اخضرار الربيع والصيف. وقد رُمِز إلى هذه العبادة بصورة (لأمّ)، هي مادونا وقد حملت طفلها.

**حزقيال 8: 14** فَجَاءَ بِي إِلَى مَدْخَلِ بَابِ بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي مِنْ جِهَةِ الشِّمَالِ، وَإِذَا هُنَاكَ نِسْوَةٌ جَالِسَاتٌ يَبْكِينَ عَلَى تَمُّوزَ.

وبواسطة سميراميس انتشرت عقيدة خلود النفس، ومعها أيضاً تأليه الإنسان في شخص نمرود. وصارت عبادة السُّلطة وممارسة الطقوس المختلفة لاستجلاب المطر والخصوبة جزءاً مِن الأسرار البابليَّة. منذ أنْ أصبحت سميراميس البوابَّة التي تسمح بالوصول إلى قوَّة نمرود، تطوَّرت طقوس ارتبط فيها الذكر جنسيّاً بالأنثى للحصول على تلك القوَّة. وهكذا نشأت ظاهرة عاهرات المعابد، وشملت عبادة الشمس لقاءات جنسيَّة باعتبارها جزءاً مِن خدمات العبادة. لا يتطلَّب الأمر الكثير مِن البحث لنرى أنَّه، في ظلّ غياب التزام أسري قوي، يمكن اعتبار نظام العبادة هذا جذّاباً جدّاً للقلب الشهواني.

النقطة الأساسية التي ينبغي أنْ نوضِّحها هي أنَّه عندما تصبح الرغبة في السُّلطة هي هدفنا الأكبر، لا تهمُّ هويَّة الأشخاص الذين نسعى لانتزاع السُّلطة منهم. تحظى الهويَّة الشخصيَّة بأهمِّيَّة حيويَّة فقط في النظام الذي يضع العلاقات في المركز. يدور نظام العبادة البابلي حول مفهوم علاقة غامضة بين ثلاث شخصيَّات. وبما أنَّ نمرود كان ابن سميراميس وزوجها أيضاً ومِن المفترض أنَّه قد تجسَّد في تمُّوز، فإنَّ الهويَّات الفعليَّة للشخصيَّات تصبح غير واضحة في إله واحد غامض مكوَّن مِن ثلاثة أشخاص. وكما ذكرنا للتوّ، فإنَّ معرفة الهويَّة الفعليَّة للشخصيَّات ليست أمراً بالغ الأهمِّيَّة عندما تكون السُّلطة هي محور العبادة. وهذا يناقض تماماً عبادة إله السماء. مِن الأهمِّيَّة بمكان أنْ نعرف هويَّة الآب والابن لكي ننعم بالسرور والبَركة التي نجدهما في العلاقة القائمة بينهما. لا ينبغي التشويش ولا الخلط بين هويَّة كلٍّ منهما ولا

جعلها غامضة. وأينما يحدث هذا، يمكننا أنْ نكون على ثقة بأنَّ الذي ينال العبادة هو إله القوَّة الذي صنعه الشيطان، وليس الآب والابن اللذان نجدهما في الكتاب المقدَّس.

وبناءً على اختباريّ الشخصيّ وتعاملي مع المؤمنين، وجدتُ الكثير مِن الالتباس حول مَن تشير إليه بالفعل نصوص معيَّنة مِن الكتاب المقدَّس ومَن نتوجَّه إليه فعلاً أثناء الصلاة. لقد سمعتُ الناس وقد بدا عليهم الارتباك عدَّة مرَّات فيما يتعلَّق بمَن يتوجَّهون إليه في الصلاة، وهم لا يرغبون في الإساءة مِن خلال أنْ يغفلوا عن ذكر إحدى الشخصيَّات أثناء الصلاة. هذا الارتباك يأتي مباشرة مِن النظام البابلي، وينمُّ عن السعي وراء السُّلطة بدلاً مِن السعي في طلب الآب والابن وصفاتهما. وهذا يحدث بغير قصد مِن جانب الشخص الذي يصلِّي، ولكنَّ التعاليم التي يتلقّاها هي التي تؤدِّي به إلى هذا الالتباس الغامض. لقد أقيم النظام البابلي بزعم تكريم الله ومحبَّته. بينما في الحقيقة هو وسيلة لكي ينسى الناسُ الله ويكون الإنسان في موضع الله.

في حين أنَّ هناك الكثير مِن التاريخ الذي يمكن ذكره حول عبادة الشمس البابليَّة، فإنَّ النقاط الرئيسيَّة التي نبحث عنها هي الأسس الفلسفيَّة المتعلِّقة بما يكشفه الكتاب المقدَّس عن الله. يرتكز نظام عبادة نمرود وسميراميس وتمَّوز على ما يلي:

1. الاعتقاد بأنَّ الإنسان خالد بالطبيعة.
2. القوّة والقدرة تنبعان مِن الداخل.
3. رفض النظام الأبوي القائم على الرئاسة/البَركة، وتأييد علاقة الديكتاتور/الطاغية ــ الأمّ/الابن.
4. العلاقات الأسريَّة المنحرفة.
5. بناء المدن والتركيز على اقتناء الأراضي والأملاك.

هذا النظام هو تحقيق لوعد الشيطان بأنْ يصير الإنسان كالله عارفاً الخير والشرّ. إنَّ أيَّ نظام للعبادة يتضمَّن أيَّة صفة مِن هذه الصفات هو نظام خاضع بشدَّة لتأثير مملكة الشيطان. دعونا نتذكَّر أنَّ أسلوب العبادة هذا برز بشكل مباشر كنتيجة للخوف والكبرياء والتمرُّد والانحراف الجنسيّ الذي يعارض تماماً الله المُعلن عنه في الكتاب المقدَّس.

## 14. سلسلة النَّسب

سيكون مِن المفيد أنْ نلاحظ الخطوات التي اتَّبعها نمرود وشركاؤه في تكوين نظرتهم حول الله. يقدّم الرسول بولس تحليلاً موجزاً لتلك الفترة الزمنيَّة وتأثيرها على البشريَّة. سوف نستخدم هذا التحليل باعتباره الإطار الذي يجري ضمنه هذا النقاش.

في البدء خلق الله الإنسانَ على صورته. وهذا ما وجدناه في الفصل الذي يحمل عنوان (مخلوقون على صورته). إنَّ أحد الأسباب التي جعلت الله يخلق الإنسان بالطريقة التي خلقه بها هو أنْ يعلِّم الكون المزيد عن العلاقة التي بينه وبين ابنه. لاحِظوا كيف يقول ذلك بولس:

> **رومية 1: 19 – 20** إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتُهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ.

مِن المنطقي تماماً أنْ يهاجم الشيطان بشكل مباشر العلاقة بين الزوج الزوجة ليمنع الناس مِن أنْ يفهموا معرفة الله هذه. يتتبَّع بولس تاريخ نمرود بإيجاز شديد، ونحن أيضاً سنتابعه خطوة بخطوة.

> **رومية 1: 21 – 25** لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ، بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ، وَأَبْدَلُوا مَجْدَ اللهِ الَّذِي لاَ يَفْنَى بِشِبْهِ صُورَةِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَفْنَى، وَالطُّيُورِ، وَالدَّوَابِّ، وَالزَّحَّافَاتِ. لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ، لإِهَانَةِ أَجْسَادِهِمْ بَيْنَ ذَوَاتِهِمِ. الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ.

وباعتباره حفيد حام، كان نمرود على عِلم بإله السماء. ولكنْ، عندما اعتنق نمرود الكذبة القائلة بأنَّ القوَّة لا تأتي مِن الله بل مِن داخل الإنسان، توقَّف عن تمجيد الله أو شكره على بَركاته. وهذا قاد نمرود وشركاءه إلى أنْ يشعروا شعوراً زائفاً أو باطلاً تجاه هويَّتهم. كما أنَّ الأدوار الطبيعيَّة التي أوجدها الله للرجال والنساء بعناية شديدة قد صارت ملتوية ومشوَّهة، وهكذا انقطعت القناة التي كانت تنزل مِن خلالها بَركة السماء. وروح ابن الله الوديعة العذبة مُنِعت مِن أنْ تدخل منازلهم، وظلَّت عقولهم مظلمة. كان يُنظر إلى ما يُسمَّى بتحرير المرأة والحرِّيَّة الجنسيَّة الجديدة على أنَّها أمور تقدُّميَّة حكيمة، لكنَّها جعلت منهم حمقى.

رأينا كيف أنَّ سميراميس زعمت أنَّ نمرود، بعد موته، صار إلهاً متجسِّداً في الشمس. وقد تمَّ تغيير مفهوم الإله، وأصبح يشير إلى إنسان فاسد. لقد فسد الإنسان في تصوّره حول مصدر حياته، وفَقَدَ النموذج الإلهيّ الخاصّ بالعلاقة بين الرجل والمرأة. إنَّ زيف عبادة الأنثى بهدف الحصول على قوَّة نمرود، وولادة نمرود في شخص الإله تمُّوز، وما ترتَّب عن ذلك مِن عبادة

الطبيعة التي شملت الطيور والوحوش مِن ذوات الأربع والزواحف، كلُّها أدَّت إلى تشويه صورة الله في الإنسان وتحريف حقيقة الإله لتصير كذبة.

كان إله بابل ــ في جوهره ــ هو عبادة السُّلطة والسعي وراءها. وكما ذكرنا سابقاً، فإنَّ السعي وراء السُّلطة لا يُعنى كثيراً بهويَّة المعبودات، حيث أنَّ صفاتها تكون أقلَّ أهمِّيَّة مِن قوَّتها. هذا الاندماج الغامض لهويَّات كلٍّ مِن نمرود وسميراميس وتمُّوز أثَّر بشكل مباشر على هويَّات الرجال والنساء وطرق الارتباط فيما بينهم. وأصبحت الممارسة الجنسيَّة أكثر أهمِّيَّة مِن هويَّات الأشخاص المشتركين فيها، واتَّخذت رموزها معانٍ مختلفة تماماً.

> **رومية 1: 26 – 28** لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ، لأَنَّ إِنَاثَهُمُ اسْتَبْدَلْنَ الاسْتِعْمَالَ الطَّبِيعِيَّ بِالَّذِي عَلَى خِلاَفِ الطَّبِيعَةِ، وَكَذلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الأُنْثَى الطَّبِيعِيَّ، اشْتَعَلُوا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فَاعِلِينَ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ، وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ ضَلاَلِهِمِ الْمُحِقَّ. وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ.

يُعَدُّ الشذوذ الجنسيُّ تطوُّراً طبيعيّاً لنظام العبادة البابلي، حيث يصبح الجنس وسيلة للحصول على الطاقة مِن الشخص المشترك في ذلك الفعل، وهذا ما انتبهَت إليه سميراميس حارسة البوَّابة. ولم تعد مفاهيم الخضوع للرئاسة لائقة أو مناسبة. وفي خضمِّ التهافت على السُّلطة وعبادة الذات، ضاعت مدلولات المذكَّر والمؤنَّث المذكورة في الكتاب المقدَّس. يصف بولس النتيجة النهائية لهذا كلِّه:

> **رومية 1: 29 – 32** مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلاً وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ لِلهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ.

يتساءل الناس لماذا يوجد الكثير مِن العنف والكراهية والفجور في العالَم! تُظهر الرسالة إلى أهل رومية كيف تسير الأمور في العالَم ولماذا تسير بهذه الطريقة. وباختصار فإنَّ خطّ الانحدار يتَّخذ المسار التالي:

1. تناسي حقيقة أنَّ الحياة والبَركة تأتيان مِن عند الآب وابنه.
2. الاعتقاد بأنَّ للإنسان حياة في ذاته.
3. تدمير الأسرة، وهي التي تحافظ على مبادئ البَركة الناتجة عن الخضوع للرئاسة.
4. الفساد الجنسي.
5. اشتداد مشاعر الخوف والكبرياء والغضب والكراهية والقتل وانعدام القيمة، والسبب قلَّة البَركة.
6. إسقاط الفساد في العلاقات الإنسانية على الله: بمعنى عدم وضوح الهويَّات والتعبُّد على أساس القوَّة بدلاً مِن الصفات والخُلق.

هكذا تكون عمليَّة الخضوع لسيطرة بابل. إنَّ بابل ــ بحسب المفهوم الذي نجده في الكتاب المقدَّس ــ هي أكثر بكثير مِن مجرَّد إمبراطوريَّة مادِّيَّة. إنَّها تمثِّل الهجوم الأكثر عنفاً وعدوانيَّة على العقل البشري والذي يمكن تصوُّره على الإطلاق. إنَّ قدرتها على استعباد الأذهان مُذهِلة. وهي تعمل بخفية تثير الرعب والقلق. تتعدَّد الأساليب والطرائق التي تسلكها للوصول إلى مآربها. بمجرَّد أنْ نسقط في سلاسلها، يصير مِن المستحيل علينا كسرها – ما لم ...

ما لم نتعلَّم عن قصَّة إبراهيم. تعرُض قصَّة إبراهيم الرواية الأساسيَّة للهروب مِن بابل. جاء إبراهيم مِن أرض بابل، وكان أبناء أسرته يشتركون في عبادة بابل، ولكنَّ إبراهيم هرب. مِن المهمّ للغاية أنْ نلاحظ أنَّ بولس يفتتح رسالته إلى أهل رومية بالحديث عن قوَّة الله المُعلَنة في الإنجيل، وفيما بعد يشرح هذه العمليَّة في حياة إبراهيم بتفصيل أكثر.

**رومية 1: 16 – 18** لأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ، لأَنَّهُ قُوَّةُ اللهِ لِلْخَلاَصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ: لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلاً ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ. لأَنْ فِيهِ مُعْلَنٌ بِرُّ اللهِ بِإِيمَانٍ، لإِيمَانٍ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا». لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ.

**رومية 4: 16 – 21** لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ، لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ، الَّذِي يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيَدْعُو الأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ كَأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ. فَهُوَ عَلَى خِلاَفِ الرَّجَاءِ، آمَنَ عَلَى الرَّجَاءِ، لِكَيْ يَصِيرَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ، كَمَا قِيلَ:«هكَذَا يَكُونُ نَسْلُكَ». وَإِذْ لَمْ يَكُنْ ضَعِيفًا فِي الإِيمَانِ لَمْ يَعْتَبِرْ جَسَدَهُ وَهُوَ قَدْ صَارَ مُمَاتًا، إِذْ كَانَ ابْنَ نَحْوِ مِئَةِ سَنَةٍ وَلاَ مُمَاتِيَّةَ مُسْتَوْدَعِ سَارَةَ. وَلاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ، بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ مُعْطِيًا مَجْدًا لِلهِ. وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضًا.

إنَّ قصَّة هروب إبراهيم مِن بابل هي جوهر إنجيل المسيح. وإلى هذه القصَّة سننتقل لنتعلَّم كيف نُلغي خطَّ الانحدار هذا الذي يتكوَّن مِن 6 مراحل، ونكسر سلاسل بابل ونصرخ قائلين: "سقطت بابل!".

## 15. مدعوُّون لنخرج مِن بابل

لقد أصبحت عبادة الأسرار الوثنيَّة في بابل ظاهرة شبه عالميَّة. يقول الكتاب المقدَّس:

> **إرميا 51: 7** بَابِلُ كَأْسُ ذَهَبٍ بِيَدِ الرَّبِّ تُسْكِرُ كُلَّ الأَرْضِ. مِنْ خَمْرِهَا شَرِبَتِ الشُّعُوبُ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ جُنَّتِ الشُّعُوبُ.

إنَّ خمر بابل هو تعاليمها السرِّيَّة عن الله، تلك التعاليم التي تُربِك العقل كما لو كان في حالة سُكْر. وهذه التعاليم تدمِّر العائلات، وتقطع نعمة الآب السماوي، وتولِّد في النفس إحساساً عميقاً بالغضب وانعدام القيمة وفقدان الأمان، بما في ذلك الحاجة الماسَّة إلى الاستحواذ على السُّلطة.

قامت بابل بالتأثير على القبائل البدويَّة القائمة على أساس الأسرة، وحوَّلتها إلى دول ذات قاعدة إقليمية تحميها جيوش. وتحوَّلت القرى الصغيرة إلى مدن مسوَّرة أكبر حجماً، وذلك لتسهيل الدفاع عنها. كان لا بُدَّ مِن تطوير نظام ضريبيّ لتأمين المؤن والأسلحة لتلك الجيوش. هذا النظام الضريبي جعل الحكومة الملكيَّة المستبدَّة تضمن زيادة الضرائب المفروضة على الشعب. كما أنَّ تعرُّض الرجال بشكل مستمرّ لسفك الدماء أدَّى إلى تصلُّب قلوبهم وزيادة الوقت الذي يقضونه بعيداً عن عائلاتهم، إلى جانب ممارسات العبادة غير الأخلاقية التي أدَّت إلى ارتفاع حادّ في الدعارة، ونتج عن هذا تدمير وحدة الأسرة ومعاملة النساء أفضل قليلًا مِن الماشية، ما لم يكنَّ مِن بَغايا المعابد. وفي هذه الحالة كُنَّ يلقين الرعاية الجيِّدة.

كانت هذه العمليَّة برمَّتها جزءاً مِن خطَّة الشيطان لتشويه صورة الله في الإنسان وتجريده مِن كرامته وجعله عبداً لأغراضه الخاصَّة في الحرب التي شنَّها ضدَّ الله. استجاب الله في رحمته المُحِبَّة، وأقام رجلاً ليعيد بناء المملكة ــ الأسرة على أساس واجبات الأب في أنْ يبارك الأبناء، جنباً إلى جنب مع استعادة تلك الصفة الأثمن، ألا وهي صفة الخضوع في الزوجة التي ترعى أبناء الجيل القادم وتعلِّمهم أنْ يخضعوا للآب السماوي ولابنه. عاش إبراهيم، أو أبرام كما كان يُعرف في الأصل، بعد نمرود بوقت قصير، لكنَّ بعض الأدلَّة تشير إلى أنَّ حياتهما تقاطعتا في نقطة ما، وذلك عندما كانت الديانة البابليَّة تسيطر على جزء كبير مِن الأرض.

> **التكوين 12: 1 – 3** وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ».

كان المكان الذي توجَّب على أبرام مغادرته هو المنطقة التي سكنها الكلدانيُّون، أي قلب إمبراطوريَّة نمرود.

**التكوين 11: 26 – 28** وَعَاشَ تَارَحُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَوَلَدَ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَهذِهِ مَوَالِيدُ تَارَحَ: وَلَدَ تَارَحُ أَبْرَامَ وَنَاحُورَ وَهَارَانَ. وَوَلَدَ هَارَانُ لُوطًا. وَمَاتَ هَارَانُ قَبْلَ تَارَحَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ مِيلاَدِهِ فِي أُورِ الْكَلْدَانِيِّينَ.

كان لا بدَّ مِن أنْ يُخرِج اللهُ أبرام مِن بيت الطفولة لكي يكسر في نفسه ما تعوَّد عليه مِن روابط وطقوس عبادة. وكان الله سيبارك أبرام بأنْ يمنحه معرفة بمملكة قائمة على أساس العلاقة بين الآب والابن. وقام الله بتأخير قدرة سارة على الحَمْل والولادة إلى أنْ تعلَّما هذه المبادئ تماماً.

جعل الله أبرام بَركة، حيث قدَّمه باعتباره نموذجاً لطريقة تسيير الأمور في الأسرة. وجميع الذين تبنَّوا مبادئ عائلة أبرام وساراي سيجدون المفتاح الذي سيمكِّنهم مِن أنْ ينالوا نعمة الآب السماوي في قلوبهم، ويمنحهم إدراكاً قويّاً بأنَّهم محبوبون على أساس مَن يكونون لا باعتبار القوَّة التي يمتلكونها. كانت المملكة العظيمة التي وُعد بها أبرام مشروطة بإقامة بنية أسريَّة واضحة.

**التكوين 18: 18، 19** «وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، وَيَتَبَارَكُ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ؟ لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ».

إنَّ عبارة "لأنِّي عَرَفْتُهُ" تعطي انطباعاً بوجود علاقة وثيقة للغاية بين الله وإبراهيم، حيث علَّمه الله الاعتناء بزوجته وأطفاله. أوضح الله لإبراهيم أنَّ التصميم الإلهيّ اقتضى منذ البداية أنْ يكون الزوج والأب قناةً يصبُّ مِن خلالها الآب السماويُّ بَركة سروره بهم. إنَّ الزوج والأب لم يكن فقط مجهَّزاً ببذرة جسديَّة تحتضنها زوجته بالرعاية بهدف تربية الأطفال، بل أعطِيَ أيضاً بذرة روحيَّة لكي يوقظ في زوجته إحساساً بالتقدير والحبِّ وفي أبنائه إحساساً بالهدف والقيمة. لاحِظوا ما يقوله سِفر الأمثال حول هذا الأمر:

**الأمثال 17: 6** تَاجُ الشُّيُوخِ بَنُو الْبَنِينَ، وَفَخْرُ الْبَنِينَ آبَاؤُهُمْ.

إنَّ قدرة إبراهيم على أنْ يبارك زوجته وأولاده كانت تعتمد بشكل كبير على روح الخضوع التي كانت عند سارة؛ كانت سُلطته عظيمة بِقدر ما كانت تمنحه زوجته. فكلَّما صلَّت لكي يقوم زوجها بدور قياديّ ووثقت في أنَّ الله سيباركه بالكلمات الصالحة والقرار الصائب وخضعت له ووثقت فيه، رأى أطفالها أهمِّيَّة كلامها. إنَّ الطفل يتطلَّع إلى أمِّه ليحدِّد مدى أهمِّيَّة كلمات أبيه. يخبرنا الرسول بطرس كيف تعلَّمت سارة أنْ تتطلَّع إلى رجُلِها.

**1 بطرس 3: 5، 6** فَإِنَّهُ هكَذَا كَانَتْ قَدِيمًا النِّسَاءُ الْقِدِّيسَاتُ أَيْضًا الْمُتَوَكِّلاَتُ عَلَى اللهِ، يُزَيِّنَّ أَنْفُسَهُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِهِنَّ، كَمَا كَانَتْ سَارَةُ تُطِيعُ إِبْرَاهِيمَ دَاعِيَةً إِيَّاهُ «سَيِّدَهَا». الَّتِي صِرْتُنَّ أَوْلاَدَهَا، صَانِعَاتٍ خَيْرًا، وَغَيْرَ خَائِفَاتٍ خَوْفًا الْبَتَّةَ.

كان على إبراهيم وسارة أنْ يتعلَّما أموراً كثيرة منذ أنْ وصلا مِن بابل. وقد ارتكبا أخطاء على طول الطريق، ممَّا أدَّى إلى تأخير ولادة سارة لإسحاق. وبعد مرورهما في العديد مِن التجارب والدروس، تمكَّن إسحاق وسارة مِن إفساح المجال أمام الله كي يبارك إسحاق بَركة عظيمة بروح ابنه، حتَّى أنَّ إسحاق كان على استعداد لأنْ يخضع للموت تماماً كما كان يسوع على استعداد لأنْ يموت على الصليب. لقد تعلَّم إبراهيم أنْ يثق في الله حتَّى عندما بدا مِن المستحيل القيام بذلك.

> **التكوين 22: 1، 2، 10 – 12** وَحَدَثَ بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ أَنَّ اللهَ امْتَحَنَ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ لَهُ: «يَا إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ». ثُمَّ مَدَّ إِبْرَاهِيمُ يَدَهُ وَأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذْبَحَ ابْنَهُ. فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي».

إنَّه لأمرٌ مُدهِشٌ أنْ نرى كيف تمكَّن الله مِن أنْ يزيل مِن ذهن رجل واحد ــ خلال فترة حياته ــ بقايا نظام بابل السِّرِّي الذي يستعبد الناس، وأنْ يعيد الناس لعبادة إله السماء الحقيقي. إنَّ رحلة إبراهيم مِن بابل هي الأساس لرحلتنا اليوم. إنَّ إله السماء الحقيقي وابنه يدعواننا لنترك آلهة هذا العالَم الزائفة ولندخل في مملكتهما، المملكة ــ الأسرة، القائمة على العلاقات، حيث تنبع قيمتنا مِن علاقاتنا داخل الأسرة وليس مِن إنجازاتنا.

إنَّ المبادئ الواردة في هذا الكتيِّب قد شُرِحت بشكل مستفيض في كتاب (Life Matters) المتاح على موقع maranathamedia.com. يُرجى طلب نسخة مِن هذا الكتاب للحصول على شرح مُوسَّع حول نظام البَركة في الأسرة، وهو النظام الذي يهزم مملكة الشيطان ببساطة مِن خلال المعرفة الصحيحة بالله وبابنه.

# حكمة الله

مَن له الابن فله الحياة. لماذا؟ لأنَّ في ابن الله ذلك القلب النقيّ لابنٍ مطيع لأبيه، يعمل دائماً ما يرضي الآب. وقد نال أيضاً بَركة الآب الذي أحبَّه محبَّة عميقة. إنَّ قلب الابن يستقرُّ مطمئنّاً في محبَّة أبيه.

وقد اقتضت حكمة الآب أنْ يشارك روح ابنه الحبيب مع الكون؛ تلك الروح العذبة الوديعة المطيعة التي تحبُّ وصايا أبيه. إنَّ المسيح حكمة الله، وهو الحارس الضامن لمملكة تقوم على أساس العلاقات وتنعم بالحبّ.

هذه الروح اللطيفة الرقيقة تتدفَّق مِن عرش الله عبر شجرة الحياة. لقد رفض الشيطانُ ابنَ الله وروحَه الوديعة. كانت روحه المتمرّدة في حالة حرب مع روح ابن الله المترفِّقة المطيعة. وقد انتقلت روح التمرُّد هذه إلى الجنس البشري. ومِن خلال ذبيحة المسيح تُعرَض علينا هذه الروح الوديعة مِن جديد. إنَّ السِّرَّ وراء حصولنا على هذه الروح هو أنْ نعرف مَن يكون الآب والابن – هذه هي الحياة الأبديَّة أنْ نعرف الآب وابنه وأنْ نرتوي مِن ماء الحياة الذي يتدفَّق مِن عرش الله والحَمَل.